Perim
بريم
مجلة شهرية تحليلية تصدر كل شهر
تهتم بقضايا الدول المشاطئة على البحر الأحمر وخليج عدن
العدد: (20) - اكتوبر 2025

الحرب على الإرهاب
في اليمن (2000 - 2025)

من ازدواجية صنعاء إلى نموذج عدن الأمني

دراسة تحليلية في التحولات الأمنية الإقليمية وبناء الشراكة المحلية

بريم Perim

مجلة شهرية تحليلية تصدر كل شهر

تهتم بقضايا الدول المشاطئة على البحر الأحمر وخليج عدن
تصدر عن مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات

Political and Economic Magazine Concerned with the Issues of the Red Sea and Gulf of Aden Countries - Published by the alyoum8th Foundation for Media and Studies

العدد: (20) - اكتوبر 2025

مجلة سياسية اقتصادية تهتم بقضايا الدول المشاطئة على البحر الأحمر وخليج عدن، صادرة عن مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات، وتحمل ترخيص رقم (0693).
تأسست في مدينة عدن
جنوب اليمن في فبراير/ شباط العام 2024م

العنوان - جنوب اليمن - عدن - البريقة
للتواصل
واتساب: 00967777491124
ايميل: perimjournal@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
perimjournal.com - perimjournal.net

"الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر كاتبيها لا عن سياسة مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات"

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظةٌ

@Perimjournal

صالح أبو عوذل
رئيس مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات رئيس مجلس إدارة مجلة بريم

د. صبري عفيف
نائب رئيس مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات، مشرف عام مجلة بريم

د. أشجان الفضلي
المدير التنفيذي لمؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات

حنين فضل
المدير الإداري في مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات

د. سالم الحنشي
رئيس تحرير

د. رحيمة عبدالرحيم
مدير التحرير
د. شورى فضل
سكرتير التحرير

تحرير
د. عباس الزامكي
د. سميح الأهدل
د. إيزيس المنصوري
د. طارق شعبان
د. منى عقربي
د. شورى فضل
د. عفاف سالم

مدير الإنتاج
مراد محمد سعيد

المجلس الاستشاري
أ. د. عبده يحيى صالح الدباني
أ. د. هادي فضل العولقي
أ. مساعد. د. عارف صالح السنيدي
د. هيثم حسين جواس
د. مراد عبدالله الحوشبي
د. رائد شائف القطيبي
د. فضل محمد الشاعري
د. صلاح لرضي بن دويل
العميد/ صالح علي الدويل
د. محمد جمال الشعيبي

للإعلان في مجلة بريم Perim

كن حيث يُصنع التأثير

تسرّ مجلة بريم، المجلة الفصلية المتخصصة في قضايا البحر الأحمر والأمن الإقليمي، أن تفتح أبوابها أمام المؤسسات والشركات والجهات الفاعلة للإعلان ضمن صفحاتها المرموقة

إن إعلانك في "بريم" ليس مجرد مساحة دعائية، بل هو حضور استراتيجي في منصة نخبوية تُقرأ من قبل صانعي القرار، الباحثين، الصحفيين، والمهتمين بالشأن السياسي والاقتصادي والأمني في المنطقة

لماذا تعلن في "بريم"؟

- توزيع إقليمي ودولي يضمن وصول إعلانك للفئات المؤثرة.
- محتوى تحليلي متخصص يعزز من مصداقية الإعلان.
- تصميم احترافي يُبرز علامتك التجارية بأفضل صورة.
- حضور ضمن عدد يُناقش قضايا الساعة: "التهريب، النفوذ الإقليمي، الأمن البحري"

كن شريكًا في المعرفة والتأثير. واحجز مساحتك الآن.

للتواصل والاستفسار:

perimjournal@gmail.com

00967777491124

تابعنا: perimjournal.com – perimjournal.net

شروط وضوابط النشر

1. أصالة البحث:
يجب أن يكون البحث جديدًا وأصيلًا، ولم يسبق نشره في أي وسيلة من وسائل النشر، سواء الورقية أو الإلكترونية

2. القيمة العلمية:
يشترط أن يُمثّل البحث إضافة علمية واضحة، سواء كانت نظرية أو تطبيقية

3. حجم البحث وإعداد الصفحات:
- ألا يتجاوز البحث (20) صفحة بقياس (B5)
- يجب ترك هامش لا يقل عن (3 سم) من جميع جوانب الصفحة

4. تحكيم البحوث:
- تخضع جميع البحوث المقدمة للتحكيم العلمي
- يُقبل البحث للنشر في حال اتفق اثنان من المحكّمين على صلاحيته، بعد إجراء التعديلات المطلوبة

5. محتوى الصفحة الأولى:
- تتضمن الصفحة الأولى: عنوان البحث، اسم الباحث/الباحثين، وملخصًا لا يتجاوز (100) كلمة

6. طريقة التقديم:
- يُقدّم البحث بنسخة إلكترونية بصيغة (Word)
- تُرسل النسخة إلى بريد المجلة الإلكتروني: perimjournal@gmail.com
- يجب أن تتضمن الرسالة البيانات التالية:
- عنوان البحث
- اسم الباحث/الباحثين
- الرتبة العلمية والوظيفة الحالية
- رقم الهاتف والبريد الإلكتروني

7. الملخص والمستخلص:
- يُرفق بالبحث ملخصان (بالعربية) لا يزيد كلّ منهما عن (100) كلمة، ويتضمّنان
- موضوع البحث
- الأهداف
- المنهج
- أبرز النتائج والتوصيات
- كلمات مفتاحية (لا تزيد عن خمس كلمات)

8. توثيق المراجع:
- يجب ترتيب المراجع حسب تسلسل ورودها في متن البحث

9. مسؤولية المحتوى:
- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبّر عن أصحابها فقط، ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة

10. لغة النشر:
- تقبل المجلة البحوث باللغتين: العربية أو الإنجليزية

محتويات العدد

الافتتاحية: هيئة التحرير 5

الحرب الأمريكية على الإرهاب في اليمن 6

محمد بن زايد وصياغة نموذج جديد للدبلوماسية العربية.. 34

خارطة الشعر الوطني في جنوب اليمن 59

عرض كتاب.. من شواطئ الصومال إلى قلب التجارة العالمية.. 79

على امتداد ربع قرنٍ من الحرب على الإرهاب، ظلّ اليمن ساحةً تتقاطع فيها أجندات الدول ومصالح التنظيمات وازدواجية النُظم

تحت شعار «مكافحة الإرهاب» تبدلت التحالفات، وسقطت أنظمة، وانهارت مؤسسات، فيما ظلّ الإرهاب نفسه يتكيّف مع التحولات، يغيّر وجوهه وشعاراته، لكنه لا يغيب

تُعيد مجلة «بريم» في هذا العدد قراءة المشهد من زاوية مختلفة: كيف تحوّلت الحرب على الإرهاب في اليمن من أداة نفوذٍ خارجي إلى فرصة لبناء أمنٍ محليٍّ جديد؟

كيف انتقلت التجربة من ازدواجية صنعاء في تسييس الإرهاب إلى نموذج عدن الأمني الذي أرسى أسس الشراكة الميدانية بين القيادة المحلية والتحالف الإقليمي؟

تتناول الدراسة الرئيسة هذا التحول العميق الذي أنتجته عمليات مثل «سهام الشرق»، وما حملته من دلالات على أن الجنوب لم يعد هامشًا في معادلة الأمن، بل مركزًا لتوازن جديد في البحر العربي وخليج عدن

وفي الوقت الذي تواصل فيه واشنطن وحلفاؤها إعادة رسم خرائط الأمن الإقليمي، يبرز الجنوب اليوم كشريكٍ موثوقٍ وقادرٍ على صياغة مقاربة ميدانية أكثر واقعية واستدامة من التجارب السابقة

إنّ الحرب على الإرهاب لم تعد معركة ضد عدوٍ غامض، بل اختبارٌ لقدرة المجتمعات على حماية نفسها، وصياغة أمنها بيدها

ومن هنا، تدعو «بريم» في هذا العدد إلى التفكير أبعد من حدود السلاح والضربات الجوية؛ إلى جوهر الحرب ذاته: من يملك القرار ومن يصوغ المستقبل؟ الجنوب اليوم يقدّم إجابته بالفعل لا بالقول.

وفي ذلك، تكتب عدن فصلًا جديدًا في تاريخ اليمن والمنطقة، عنوانه: «الأمن يبدأ من الميدان.. لا من السماء»

هيئة التحرير

الحرب الأمريكية على الإرهاب في اليمن (2000 - 2025).. من ازدواجية صنعاء إلى نموذج عدن الأمني

☐ صالح أبوعوذل

رئيس مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات، رئيس مجلس إدارة مجلة بريم الصادرة عن المؤسسة.

الملخص

تتناول هذه الورقة تطور الحرب الأمريكية على الإرهاب في اليمن خلال الفترة (2000–2025)، وتحلل أبعادها السياسية والأمنية والاجتماعية، من خلال تتبّع العلاقة المتداخلة بين واشنطن وصنعاء، وما رافقها من ازدواجية في التعاطي مع الجماعات المتطرفة، بين التوظيف السياسي والتعامل الأمني

كما ترصد التحول الجنوبي بعد 2017 نحو بناء نموذج محلي فاعل في مكافحة الإرهاب، تمثّل في تجربة عدن الأمنية وعمليات "سهام الشرق" [1] في أبين، بوصفها نقلة نوعية في مقاربة الشراكة المحلية مع الجهود الدولية

تعتمد الورقة على منهج تحليلي تاريخي مقارن، يستند إلى مصادر ميدانية وتقارير أمنية ودولية، لتصل إلى أن مكافحة الإرهاب في اليمن ظلت رهينة التوظيف السياسي حتى انتقال مركز الثقل الأمني إلى الجنوب

الكلمات المفتاحية: الإرهاب - اليمن - الولايات المتحدة - الإخوان المسلمون - الحوثيون - المجلس الانتقالي الجنوبي - الأمن الإقليمي - عمليات سهام الشرق - مكافحة التطرف - البحر الأحمر

(1) عبدروس الزبيدي يطلع على سير عملية سهام الشرق ويؤكد ضرورة تأمين محافظات الجنوب| اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات https://alyoum8.net/posts/93266:

جـذور الإرهـاب في اليمـن واسـتخدامه السـياسي (1990-2015)

تشـكّل تنظيـم القاعـدة في جزيـرة العـرب[2] عـام 2009، بعـد اندمـاج فرعـي التنظيـم في اليمـن والسـعودية، ليصبـح اليمـن المركـز الرئيـس لأكثر فـروع القاعـدة تطرفًـا ونشـاطًا في العـالم[3]، ويرجـع ذلـك إلى جملـة مـن العوامـل المعقـدة، أبرزهـا الاحتضـان السـياسي غير المعلـن الـذي حظـي بـه التنظيـم في مراحـل مختلفـة مـن تاريـخ الصراع اليمنـي، ففـي صيـف عـام 1994، اسـتفاد مقاتلـو القاعـدة – ومعظمهـم مـن "الأفغـان العـرب" العائديـن مـن سـاحات الجهـاد في أفغانسـتان – مـن الحـرب الأهليـة بين اليمـن والجنـوب[4]، وشـاركوا في القتـال إلى جانـب قـوات نظـام علي عبداللـه صالـح المتحالفـة حينهـا مـع حـزب الإصلاح (الإخـوان المسـلمون)

وقـد أتـاح لهـم هـذا التحالـف المؤقـت شرعيـة ميدانيـة وغطـاءً سياسـياً مكّنهـم لاحقـاً مـن التمركـز في محافظـات أبين وشـبوة، حيـث وفّـرت التضاريـس الجبليـة المعقـدة ملاذاتٍ آمنـة لإعـادة التنظيـم والتجنيـد والتدريـب

ومنـذ ذلـك الـحين، تحـوّل الجنـوب إلى سـاحة مفتوحـة للاغتيـالات التـي اسـتهدفت عشرات الضبـاط والقيـادات الأمنيـة والعسـكرية الجنوبيـة، في محاولـة لإضعـاف الأجهـزة المحليـة وبـثّ الفـوضى، بينـما ظلـت السـلطة المركزيـة في صنعـاء تتعامـل مـع هـذا الملـف بانتقائيـة، تـراوح بين التغـاضي والمسـاومة والاسـتخدام السـياسي

يـرى أحمـد الصـوفي، السـكرتير الصحفـي للرئيـس اليمنـي الراحـل علي عبداللـه صالـح[5]، أن الفتـوى الدينيـة التـي أصدرهـا علـماء منتمـون إلى جماعـة الإخـوان المسـلمين خلال حـرب صيـف 1994م، كانـت مـن أبـرز الأسـباب التـي دفعـت المقاتـلين "الأفغـان العـرب" إلى الانخـراط في الحـرب إلى جانـب قـوات الـشمال ضـد الجنـوب

فقـد اعـتبر شـيوخ الإخـوان[6] الحـرب "جهـادًا ضـد الشـيوعيين الجنوبـيين"، وأضفـوا عليهـا طابعًـا دينيًـا صريحًـا، مـن خلال فتـوى شـهيرة وقّعهـا وزيـر العـدل حينهـا عبدالوهاب الديلمـي، نصّـت على أن "قتـل المسـتضعفين أهـون مـن أن تُعلى شـوكة الكفـر على شـوكة الإسلام"

كانـت تلـك الفتـوى[7] بمثابـة غطـاء شرعـي لتجنيـد واسـع للشـباب، وأضفـت على الحـرب السياسـية طابعًـا دينيًـا تعبويًـا

ويؤكـد الجهـادي المصري[8] نبيـل أبونعيـم

(2) التفرعات الإقليمية لتنظيم القاعدة - قناة الجزيرة القطرية https://www.aljazeera.net/news

(3) «سـيوف حـوس تلاحـق التنظيـم في جبـال أبين»..»القاعـدة في اليمـن».. أشـد الفـروع تطرفاً يتحالـف مـع إيـران في مواجهـة التحالـف الـدولي اقـرأ المزيـد مـن مؤسسـة اليـوم الثامـن للإعلام والدراسـات :https://alyoum8.net/posts/94335

(4) Yemen: terrorism is not its only problem: Christopher Boucek
https://www.nato.int/docu/review/articles/2010/09/13/yemen-terrorism-is-not-its-only-problem/index.html

(5) «إخوان اليمن».. ذراع قطر وتركيا للسيطرة على الجنوب – موقع ٢٤ الخليجي. - https://24.ae/article.aspx?articleid=516939

(6) ينظـر الجنوبيـون الى الإخـوان كجماعـة (عدوانيـة).. تحليـل: كيـف سـتواجه المملكـة العربيـة السـعودية خطـر إخـوان اليمـن؟ - اقـرأ المزيـد مـن مؤسسـة اليـوم الثامـن للإعلام والدراسـات : https://alyoum8.net/posts/6961

(7) موثـق| فتـوى دينيـة جديـدة ضـد الجنوبـيين: «دعـاة الفرقـة والانقسـام مصيرهـم الهزيمـة»: اقـرأ المزيـد مـن مؤسسـة اليـوم الثامـن للإعلام والدراسـات :https://alyoum8.net/posts/92734

(8) الحركات الجهادية المصرية حدود الدور-المعهد المصري للدراسات: أحمد فريد مولانا - ٥ فبراير ٢٠١٨

– وهـو أحـد العائديـن مـن أفغانسـتان – أن نظـام صالـح أرسـل رسـالة إلى زعيـم تنظيـم القاعـدة أسـامة بـن لادن يطلـب فيهـا دعمـه في الحـرب ضـد خصومـه مـن قـادة الجنـوب، الذيـن كانـوا شركاءه في مشروع الوحـدة

ويضيـف أبونعيـم[9] أن قيـادات بـارزة مـن "الأفغـان العـرب" اليمنيين حصلـت على رتـب عسـكرية في صفـوف الفرقـة الأولى مـدرع التـي قادهـا حينهـا اللـواء علي محسـن الأحمـر، والتـي تولّـت القيـادة الميدانيـة للهجـوم على عـدن

لقـد مثّـل هـؤلاء المقاتلـون اليـد الطـولى للنظـام في المعركـة، ومهّـدوا لاحقًـا لانتشـار الفكـر الجهـادي المسـلح في الجنـوب

وبعـد أكثر مـن عقـد على الحـرب، وتحديـدًا في عـام 2007، انطلقـت حركـة احتجاجيـة سـلمية واسـعة في الجنـوب نظمهـا ضبـاط وجنـود سرّحهـم النظـام بعـد حـرب 1994م، شـكلت النـواة الأولى لما عُـرف لاحقًـا بـ"الحراك الجنـوبي"

اتهمـت هـذه الحركـة نظـام صنعـاء باسـتخدام تنظيـم القاعـدة كأداة لتصفيـة الكـوادر الجنوبيـة واغتيـال القيـادات العسـكرية والأمنيـة التـي شـاركت في جيـش الدولـة السـابقة

وفي الوقـت الـذي كان فيـه قـادة الحـراك يوجّهـون هـذه الاتهامـات، كان التنظيـم ينفّـذ بالفعـل عمليـات اغتيـال متتابعـة، مـن أبرزهـا مقتـل ثلاثـة مـن طيـاري سلاح الجـو الجنـوبي السـابق في مدينـة الحوطـة بمحافظـة لحـج[10].

تلاحقـت الاغتيـالات، واسـتهدفت – كما يقـول قـادة الحـراك – ضباطًـا وقيـادات مـن الجيـش الجنـوبي الـذي خسر معركـة صيـف 1994م

لم يكـن الجنـوب حينهـا مهيئًـا للدخـول في وحـدة متكافئـة مـع اليمـن الـشمالي؛ إذ جـاء توقيـع مشروع الوحـدة في مايـو 1990م بعـد حـرب أهليـة جنوبيـة (1986) أقصـت محافظتـي شـبوة وأبين المحسـوبتين على الرئيـس السـابق علي نـاصر محمـد

دخـل الجنوبيـون الوحـدة بمشروع سـلمي وبخطـاب وطنـي وحـدوي، لكنهـم لم يدركـوا أن الحلـم سـيتحوّل إلى مأسـاة سياسـية

فما إن مضـت أشـهر قليلـة على إعلان الوحـدة حتـى بـدأت سلسـلة اغتيـالات طالـت قيـادات الحـزب الاشتراكي اليمنـي، وهـو الشريـك الجنـوبي في الوحـدة

يوثّـق الحـزب الاشتراكي مقتـل أكثر مـن 150 قياديًـا مـن أبـرز كـوادره بين عامـي 1990 و1993، في مقدمتهـم شـخصيات كانـت قريبـة مـن نائـب رئيـس مجلـس الرئاسـة آنـذاك علي سـالم البيـض

ورغـم ذلـك، تمسّـك البيـض بمشروع الوحـدة، وأعلـن عقـب توقيـع وثيقـة العهـد والاتفـاق في عمّان أن "الوحـدة أغلى مـن دمـاء الشـهداء الذيـن سـقطوا في صنعـاء وعـدن"

لكـن الأوضـاع تدهـورت سريعًـا. ففـي 27 أبريـل 1994 اندلعـت الحـرب الشـاملة عندمـا شـنّت قـوات اليمـن هـجمات على مواقـع الجيـش الجنـوبي في عمـران وذمـار

وردّ البيـض بـإعلان فـك الارتبـاط مـن مدينـة المـكلا في 21 مايـو 1994م، معلنًـا عـودة دولـة

(9) نبيل نعيم: الإخوان الأب الروحى لأصحاب الفكر المتطرف - اليوم السابع المصرية

(10) اغتيال ٣ من أكفأ الطيارين بقاعدة العند الجوية بلحج | يمرس واخبار اليوم https://www.yemeress.com/akhbaralyom/67085

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية[11].

غير أن ميزان القوى كان قد حُسم مسبقًا، إذ كانت الجماعات الجهادية القادمة من اليمن، والمقاتلون الأفغان العرب[12]، قد لعبوا دورًا حاسمًا في الميدان

وفي 7 يوليو 1994م [13]سقطت عدن بيد قوات تحالف النظام والإخوان، لتبدأ مرحلة جديدة من التوظيف السياسي للإرهاب في الجنوب

منذ سقوط عدن في السابع من يوليو 1994 وإعلان نظام صنعاء النصر على ما وصفه بـ"حركة الردة والانفصال"،[14] بدأت حربٌ أخرى لا تقلّ ضراوة عن الحرب العسكرية

فقد تحوّل الجنوب إلى ساحة انتقام وإقصاء سياسي، بينما انطلقت مرحلة جديدة من توظيف الجماعات الجهادية التي قاتلت سابقًا إلى أدوات للترهيب الداخلي وتصفياتٍ منظمة لقيادات وضباطٍ جنوبيين

ومع أن نظام الرئيس علي عبدالله صالح حاول لاحقًا إظهار نفسه كطرفٍ منخرط في الحرب على الإرهاب، إلا أن الوقائع الميدانية كشفت أن تنظيم القاعدة أعاد التمركز داخل مناطق نفوذه في أبين وشبوة، وبدأ شنّ عمليات انتقامية تحت ذريعة "الثأر من النظام الذي خان المجاهدين"

ازدواجية النظام اليمني في الحرب على الإرهاب.. من حماية الزنداني إلى ضربة المعجلة

خلال تلك المرحلة الدقيقة، حاول الرئيس علي عبدالله صالح تجنّب الصدام المباشر مع جماعة الإخوان المسلمين، وفي الوقت نفسه التنصّل من الضغوط الأمريكية المتزايدة بعد تصاعد عمليات تنظيم القاعدة في جزيرة العرب

ففي حين كانت واشنطن تعتبر اليمن شريكًا رئيسيًا في ما سُمّي بـ»الحرب العالمية على الإرهاب»، كان صالح يتعامل مع الملف من منظورٍ سياسيٍّ تكتيكي أكثر منه أمنيًا استراتيجيًا

وربما أدرك أن أي خطوة ضد الشيخ عبدالمجيد الزنداني أو ضد جماعة الإخوان[15] قد تفجّر صراعًا داخليًا واسعًا، في وقتٍ كان يواجه فيه النظام تمرد الحوثيين شمالًا وتنامي الغضب الشعبي في الجنوب

مثّل هذا الموقف نموذجًا صارخًا لـ ازدواجية صنعاء في إدارة الحرب على الإرهاب[16]؛ فبينما كانت تُعلن التزامها بتحالفها مع واشنطن، كانت على الأرض تحمي رموز الفكر الجهادي وتستخدمهم كورقة تفاوض سياسي مع الخارج

ورغم القلق المتكرر داخل الدوائر

(11) علي سالم البيض الأممي الحالم والانفصالي النزق | صحيفة العرب: الكاتب صالح البيضاني الأحد ٢٣/٠٢/٢٠١٤

(12) البيض يدعو مجلس الأمن لإخراج الجيش اليمني من الجنوب - صحيفة الشرق القطرية ٠٣ أبريل ٢٠١٤

(13) حرب الانفصال اليمنية.. أسرار وكواليس حرب صيف ١٩٩٤|قناة العربي القطرية 13 /https://www.alaraby.com مايو ٢٠٢٣

(14) اليمن: ذكرى الحرب الأهلية، حرب «صيف ١٩٩٤»| مونت كارلو الدولية | نشرت في: 16/08/2012 /https://www.mc-doualiya.com

(15) عبدالمجيد الزنداني وهجمات (١١) سبتمبر (أيلول)..الإخوان والحوثيون.. كيف يتم إعادة صناعة التطرف في اليمن؟ اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات :https://alyoum8.net/posts/86126

(16) الشيخ الزنداني يجدد الدعوة للجهاد دفاعا عن اليمن في حال تعرضه لتدخل عسكري - موقع دنيا الوطن /https://www.alwatanvoice.com arabic/news/2010/01/16/145552.html

الأمريكيـة، تـردّدت واشـنطن في ممارسـة ضغـطٍ حقيقـي على النظـام خشـية أن يـؤدي انهيـاره إلى فـراغٍ أمنـي قـد تسـتفيد منـه الجماعـات المتطرفـة

في خضـمّ هـذه التناقضـات، تصاعـدت الضغـوط الأمريكيـة مطلـع الألفيـة لتسـليم الشـيخ عبدالمجيـد الزنـداني، رئيـس مجلـس شـورى حـزب الإصلاح[17]، بعـد أن أُدرج اسـمه على قائمـة العقوبـات الدوليـة للأمـم المتحـدة عـام 2004 بتهمـة تمويـل الإرهـاب ودعـم معسـكرات تدريـب تابعـة للقاعـدة

غير أن صالـح رفـض الامتثـال لتلـك المطالـب، مفـضّلًا تجنّـب الصـدام مـع الإخـوان الذيـن كانـوا حينهـا ركيـزة سياسـية داخليـة لا يمكنـه الاسـتغناء عنهـا

تـجلّى هـذا التحـدي علنًـا عندمـا اصطحـب الزنـداني ضمـن الوفـد الرسـمي اليمنـي المشـارك في قمـة منظمـة التعـاون الإسلامـي بمكـة عـام 2004، في مخالفـة صريحـة لقـرار أممـي يمنـع سـفره

أثـار ذلـك احتجاجًـا رسـميًا أمريكيًـا اعـتبر الخطـوة اسـتهزاءً بالقـرارات الدوليـة، لكـن «صالـح» تجاهـل الضغـوط واسـتمرّ في حمايته

وقـد اذاعـت وسـائل إعلام حكوميـة خبراً ان «الزنـداني[18]» لمحاولـتين فاشـلتين لاغتيالـه، وحظـي بإجـراءات أمنيـة خاصـة لكـن مُنـع مـن السفربشـكل مؤقـت، والنظـام لم يتخـذ ضـده أي إجـراء قضـائي أو سـياسي

لم تكـن علاقـة صالـح بالزنـداني مجـرّد تـوازن داخلي، بـل رمـزًا لبراغماتيـة النظـام المتطرفـة في تعاملـه مـع ملـف الإرهـاب

فالرئيـس الـذي أعلـن انضمامـه إلى «الحـرب على الإرهـاب» عـام 2001، كان في الوقـت نفسـه يـزور جامعـة الإيمـان التـي أسسـها الزنـداني في صنعـاء[19]، ويشـارك في حـفلات تخريـج طلابهـا، قـائلًا في إحـدى المناسـبات، "لـو تعلمـون كـم حجـم الضغـوط لإغلاق هـذه الجامعـة... لكنهـا لـن تُغلـق أبـدًا."

كانـت جامعـة الإيمـان تمثّـل مدرسـة أيديولوجيـة لتلـقين الفكـر الجهـادي العالمـي، حيـث تؤكـد تقاريـر أمنيـة ودوليـة أن عـددًا مـن منفّـذي العمليـات الإرهابيـة الـكبرى تلقـوا فيهـا تعلـيمًا دينيًـا أو فكريًـا، مـن أبرزهـم عمـر فـاروق عبدالمطلـب (النيـجيري المعـروف بـ"انتحـاري السروال")، الـذي حـاول تفـجير طائـرة أمريكيـة في عيـد المـيلاد عـام 2009 بعـد أن تلقـى دروسًـا في جامعـة الإيمـان

وسـعيد كـواشي، أحـد منفـذي هجـوم شـارلي إيبـدو في باريـس عـام 2015، الـذي زار اليمـن وتلقـى محـاضرات على يـد الزنـداني، وجـون ووكـر لينـد، الأمـريكي الـذي قاتـل في صفـوف طالبـان ودرس في جامعـة الإيمـان أواخـر التسـعينيات

وتـشير تقاريـر أوروبيـة[20] إلى أن الزنـداني لم يكـن مجـرد داعيـة، بـل شـخصية محوريـة في شـبكة التنظـيمات الإسلاميـة المتطرفـة العابـرة

(17) الزنداني يفند مزاعم واشنطن بدعمه الإرهاب - قناة الجزيرة القطرية ٢٠٠٤/٢/٢٧

(18) عبدالمجيـد الزنـداني.. مـن ميادين تجنيـد الأفغـان العـرب إلى قصر الرئاسـة اليمنيـة (فصـول موجـزة): اقـرأ المزيـد مـن مؤسسـة اليـوم الثامـن للإعلام والدراسـات:https://alyoum8.net/posts/93509

(19) مـن هـو الزنـداني حليـف صالـح وصاحـب اللحيـة الحمـراء والإعجـازات العلميـة؟ | ٢٤ News 4| https://www.youtube.com/watch?v=_5T9ZnuLRSI

(٢٠) تقرير لـEuropean Eye on Radicalization

للحدود

فقد أسس المعاهد العلمية في السبعينيات، وأنشأ جامعة الإيمان مطلع التسعينيات، لتتحول من مؤسسة تعليمية إلى منبر تعبئة عقائدية

كما كشفت التحقيقات الأمريكية أن جمعية الرعاية الاجتماعية، المرتبطة بحزب الإصلاح والزنداني[21]، كانت واجهة لتمويل تنظيم القاعدة، وقد شغل أنور العولقي[22] منصب نائب رئيس فرعها في الولايات المتحدة بين عامي 1998 و1999.

وفي فبراير 2004، صنّفته وزارة الخزانة الأمريكية كـ«إرهابي دولي مميز»[23]، مؤكدة أنه لعب دورًا مباشرًا في شراء الأسلحة لصالح القاعدة وساهم في تجنيد وتدريب المقاتلين في معسكرات التنظيم

كما ربطت تقارير استخباراتية بينه وبين تفجير المدمّرة الأمريكية[24] USS Cole عام 2000، الذي أودى بحياة 17 بحارًا أمريكيًا، حيث صرّح قاضٍ في المحكمة العليا اليمنية أن المتهمين في القضية «استندوا إلى فتوى للشيخ عبدالمجيد الزنداني»

أصبحت قضية الزنداني عقدة العلاقات اليمنية–الأمريكية طوال العقد الأول من الألفية

فبينما كانت واشنطن تضغط لتسليمه، كان صالح يعتبره صمام أمان داخليًا لضبط التيار الإسلامي ومنع تفجّر الصراع، وورقة مساومة سياسية مع الولايات المتحدة ودول الخليج

لقد جسّد موقف صالح من الزنداني أزمة الحرب على الإرهاب في اليمن «حرب تُدار بالشعارات وتُفرّغ من مضمونها، بين رئيس يناور، وتنظيم متطرف يتمتع بالغطاء السياسي، وحليفٍ أمريكيٍّ يكتفي بالدرونز بدل بناء شريك محلي حقيقي»

وفي ديسمبر 2009، وفي ذروة الضغوط الأمريكية على صالح لتسليم الزنداني وقيادات أخرى، قدّمت صنعاء "هدية" استخباراتية لواشنطن عبر تزويدها بإحداثيات يُعتقد أنها لمعسكر تابع للقاعدة في منطقة المعجلة بمحافظة أبين[25].

نفّذت الولايات المتحدة الضربة بصواريخ توماهوك مزوّدة بذخائر عنقودية محرّمة دوليًا، ما أسفر – وفقًا للتحقيق البرلماني اليمني – عن مقتل نحو 55 شخصًا، بينهم 41 مدنيًا (منهم 9 نساء و21 طفلًا)

تُعدّ ضربة المعجلة واحدة من أكثر الأحداث دموية[26] في الحرب على الإرهاب في اليمن، ونقطة سوداء في سجل النظام، إذ

(21) قاعدة العنف المشتركة بين «الإخوان» و «القاعدة»| النهار العربي| منير أديب |١٣-٠٨-٢٠٢٢ https://web.archive.org/web/20220815210023/ https://www.annaharar.com/arabic/makalat/annahar-alarabi-authors/12082022091831496

(22) فهد سليمان الشقيران يكتب: «القاعدة» في اليمن وتوسيع التحالفات: إعادة ترتيب الصفوف وسط النزاع - اقرأ المزيد : https://alyoum8.net/articles/95495

(23) امريكا تطلب من اليمن القاء القبض على الداعية الزنداني – وكالة الانباء الكويتية الرسمية (كونا) ٢٠٠٦/٠٢/٢٣

(24) «إخوان اليمن ويو اس اس كول».. هل يُقاد عبدالمجيد الزنداني إلى المحاكم الأمريكية؟: اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات https://alyoum8.net/posts/93491:

(25) هيومن رايتس ووتش: «بين الطائرة بدون طيار والقاعدة».. المدنيون يدفعون ثمن عمليات القتل المستهدف الأمريكية في اليمن - ٢١ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٣

(26) BBC Arabic – "مقتل مسؤول محلي يمني في غارة جوية أمريكية بمأرب"، ٢٥ مايو ٢٠١٠م.

استُخدمت لاحقًا من قبل تنظيم القاعدة كأداة تعبئة وتحريض وتجنيد ضد الدولة والولايات المتحدة على حد سواء

وزاد من الجدل تصريح وزير الداخلية رشاد العليمي[27] آنذاك بأن "النساء والأطفال الذين قُتلوا كانوا يقدّمون دعمًا لوجستيًا للتنظيم"، وهو ما قوبل برفض واسع داخليًا ودوليًا

أثبتت حادثة المعجلة أن تحالف صنعاء وواشنطن لم يكن تحالفًا في مكافحة الإرهاب، بل في إدارته سياسيًا؛ فبينما رأت واشنطن في الضربة "نجاحًا عملياتيًا"، كانت نتائجها الميدانية عكسية، إذ عمّقت السخط القبلي، وزادت من شعبية القاعدة، وأثبتت أن الحرب على الإرهاب في اليمن لم تكن سوى واجهة لصفقات سياسية قصيرة المدى

الازدواجية الإخوانية في الحرب على الإرهاب.. حادثة جابر الشبواني نموذجًا (2012-2010)

منذ اشتداد الحرب الأمريكية على الإرهاب في اليمن بعد عام 2009م، برز حزب التجمع اليمني للإصلاح، الذراع السياسي لجماعة الإخوان المسلمين، بوصفه أكثر الأطراف اليمنية اتساقًا في الخطاب وأشدّها تناقضًا في الممارسة

فبينما كان يشارك بفاعلية في الحكومات المتعاقبة ضمن تحالف السلطة مع حزب المؤتمر الشعبي العام، حرص قادته على مهاجمة أيّ عمليات أمريكية ضد تنظيم القاعدة، مستخدمين خطابًا مزدوجًا يجمع بين الشعارات الدينية والسيادة الوطنية من جهة[28]، والتفاهم الضمني مع واشنطن من جهة أخرى

أبرز هذه المفارقات تمثّلت في حادثة مقتل جابر الشبواني[29]، أمين عام المجلس المحلي بمحافظة مأرب، في غارةٍ أمريكية بطائرة دون طيار في مايو 2010م

كان الشبواني – وهو شخصية محلية مقربة من حزب الإصلاح – يعمل وسيطًا غير رسمي بين الحكومة اليمنية وبعض قادة القاعدة،[30] في محاولة لاحتواء المواجهات المسلحة عبر القنوات القبلية

لكنّ الغارة الأمريكية، التي نُفذت بناءً على معلوماتٍ استخباراتية من صنعاء، أدت إلى مقتله، لتفجّر أزمة سياسية وقبلية واسعة، وتُكشف معها حدود التناقض داخل معسكر السلطة اليمنية

فقد سارع نواب حزب الإصلاح في مجلس النواب إلى اعتبار الغارة «انتهاكًا صارخًا للسيادة اليمنية»، وهاجموا الحكومة متهمينها بالتواطؤ مع الولايات المتحدة في استهداف مواطنين يمنيين

ووصف بعضهم – كما نقلت وسائل الإعلام حينها – القتيل بأنه «رجل وسطي يسعى

(27) ضربة جوية أخطأت أهدافها في بلدة المعجلة بأبين – تقرير نشرته مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات وأشار إلى إدارة رشاد العليمي الذي كان وزير للداخلية حينها عملية ضرب المعجلة ٢٠٠٩

(28) غارة يمنية تفجر «حرباً» في مأرب.. وساطة قبلية توقف مواجهات مع الجيش عقب مقتل نائب - صحيفة البيان الخليجية الثلاثاء، ٢٠١٠/٥/٢٥ م

(29) موقع نشوان نيوز – "نواب في البرلمان اليمني يدينون الضربات الأمريكية في أبين ويعتبرونها انتهاكًا للسيادة الوطنية"، ١٥ أبريل ٢٠١٢م.

(30) The Guardian – "US drone strike kills Yemeni official working as mediator with al-Qaida," 25 May 2010.

للتفاهم بين الدولة والمجاهدين»، وطالبوا الرئاسة بتقديم احتجاجٍ رسمي إلى السفارة الأمريكية في صنعاء

لم تقتصر الانتقادات على حادثة مأرب، بل استُحضرت مجددًا خلال جلسة البرلمان في منتصف أبريل 2012م، حين أدان أعضاء كُثر – معظمهم من الإصلاح – الضربات الجوية الأمريكية على محافظة أبين، معتبرين أنها «تدخّل سافر في شؤون اليمن الداخلية» و«استباحة لدماء الأبرياء»[31].

وقال النائب علي المعمري إن «هناك تصريحًا مفتوحًا لقتل اليمنيين»، بينما دعا سنان العجبي إلى اعتماد القوات اليمنية على نفسها «لمقارعة القاعدة دون وصاية أجنبية»، في حين ذهب النائب نبيل باشا إلى اتهام وكالة الاستخبارات الأمريكية بالسعي «لقتل اليمنيين بوسائل جديدة»، محذرًا من أن هذه الأخطاء «تمنح الإرهابيين التعاطف الشعبي»

وأشار باشا كذلك إلى أن مأرب وأبين دفعتا «فاتورة الضربات الأمريكية الخاطئة»، وأن حادثة المعجلة 2009م جعلت القبائل ترى في واشنطن خصمًا لا شريكًا

ورغم حدة الخطاب البرلماني[32]، لم تُبدِ الولايات المتحدة أيّ ردٍّ رسمي، واستمرت في تنفيذ عملياتها الجوية ضد قيادات القاعدة بوتيرةٍ أعلى، مدفوعةً بقناعتها بأن النظام اليمني غير قادر على المواجهة الميدانية الفعلية

لكنّ ما يُؤخذ على السياسة الأمريكية في تلك المرحلة أنها ركّزت على الحلّ العسكري البحت دون بناء تحالفات محلية مستقرة أو دعم قوى محلية فاعلة[33] خارج دائرة صنعاء، رغم تمويلها المتواصل لوحدات مكافحة الإرهاب التابعة للحكومة[34].

وهكذا تحوّلت حادثة الشبواني وما تلاها من اعتراضٍ برلماني إخواني إلى رمزٍ لازدواجية الموقف اليمني الرسمي والإخواني من الحرب على الإرهاب

ففي العلن، كانت الحكومة والإصلاح ينددان بالضربات الأمريكية «حفاظًا على السيادة»، وفي الواقع كانا يستفيدان سياسيًا من وجود الإرهاب لتقوية نفوذهما وإضعاف خصومهما

هذه الازدواجية، التي تراوحت بين البراغماتية السياسية والمزايدة الوطنية، مثّلت أحد أبرز أسباب فشل الشراكة اليمنية–الأمريكية في مكافحة الإرهاب خلال العقد الأول من الألفية[35]، ومهّدت الطريق لاحقًا لظهور النموذج الجنوبي كشريك محلي بديل أثبت فاعليته الميدانية ومصداقيته السياسية في مواجهة التطرف

وفاة الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر وانفجار الخلافات بين صالح والإخوان

(31) انتقادات قطرية لإخوان اليمن والزنداني يجرم الغارات الجوية ضد القاعدة: اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات :https://alyoum8.net/posts/93251

(32) نشوان نيوز، "نواب في البرلمان يدينون التدخل الأمريكي في أبين"، ١٥ أبريل ٢٠١٢م

(33) وزارة الخارجية الأمريكية، Country Reports on Terrorism: Yemen (٢٠١٢)

(34) Christopher Boucek, "Yemen: Avoiding a Downward Spiral," RAND, 2009 .RAND Corporation، (تحليل استراتيجي يصف علاقة الدعم الأمريكي بتنامي نفوذ القاعدة نتيجة ضعف الدولة اليمنية وتسييس ملف الإرهاب.)

(35) New York Times – "Strike in Yemen Kills Mediator in Talks With Militants," 25 May 2010

شكل عام 2006 بداية الانفصال الحقيقي بين الإخوان المسلمين والنظام، بعد وفاة الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر، الزعيم التاريخي للحركة الإسلامية في اليمن ورئيس مجلس النواب، الذي كان يمثل حلقة الوصل السياسية والقبلية بين الطرفين

كان الأحمر بالنسبة لصالح صمّام أمان سياسي ودِيني؛ إذ شكّل ثقلاً قبليًا هائلًا مكن النظام من استيعاب الإخوان تحت مظلته دون صدام مباشر

لكن بوفاته، وجد أبناؤه – وفي مقدمتهم حميد الأحمر – أنفسهم في مواجهةٍ مفتوحة مع النظام، بعدما فشلت محاولات صالح في احتوائهم عبر امتيازات مالية ومناصب برلمانية

بدأت جماعة الإخوان مرحلة القطيعة التدريجية مع النظام الذي كانوا شركاءه في حرب 1994 ضد الجنوب، وبدأ خطابهم السياسي يتحوّل من الدفاع إلى المواجهة

وفي المقابل، ظل صالح يؤكد أنه هو من أسّس حزب التجمع اليمني للإصلاح في سبتمبر 1990، أي بعد ثلاثة أشهر فقط من توقيع اتفاقية الوحدة اليمنية، بهدف موازنة نفوذ الحزب الاشتراكي اليمني داخل السلطة الجديدة

غير أن المعادلة انقلبت بعد حرب 1994؛ إذ فقد الحزب الاشتراكي معظم قوته، بينما احتفظ ببعض التمثيل الرمزي داخل المعارضة، لتتولى جماعة الإخوان قيادة تحالف "اللقاء المشترك" في مواجهة النظام الحاكم

ورغم ذلك، لم تُبدِ الجماعة أي مراجعة نقدية لمشاركتها في حرب 1994، بل على العكس، وصفت تلك الحرب بأنها "مقدسة"

وفي حين خرج بعض قياداتها لاحقًا لينفوا إصدار فتوى دينية تحرّض على الحرب، يؤكد أحمد الصوفي، السكرتير الصحفي للرئيس صالح، أن الفتوى أُذيعت عبر إذاعة صنعاء والتلفزيون الرسمي، ونشرتها عدة صحف من بينها صحيفة "الإيمان" التابعة لجماعة الإخوان المسلمين

كان ذلك التلاعب الديني والسياسي إيذانًا بمرحلة جديدة من التناقض بين الخطاب والواقع

فالجماعة التي ساهمت في الحرب على الجنوب تحت راية النظام، عادت لتتبنى خطاب المعارضة والمظلومية بعد أن ضعُف تحالفها مع صالح، فيما ظلّ الإرهاب نفسه هو المستفيد الأكبر من هذا الانقسام، مستثمرًا حالة الصراع بين النظام والإخوان لتوسيع نفوذه وإعادة إنتاج نفسه في الجنوب والشمال على حد سواء

في عام 2009، بدأت ملامح الانقسام داخل النظام اليمني تتكشف بوضوح بين الرئيس علي عبدالله صالح وذراعه العسكري الأقوى اللواء علي محسن الأحمر، قائد الفرقة الأولى مدرع، والذي وُصف في تقارير استخباراتية وإعلامية بأنه "الأب الروحي لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب"

كان الخلاف بين الرجلين امتدادًا لتناقضات أعمق داخل النظام بين جناح الرئيس وحزبه المؤتمر الشعبي العام، وبين جناح الإسلاميين المتغلغل في الجيش والقبائل عبر

تحالـفٍ غير مكتـوب منـذ حـرب 1994م

خاضـت القـوات اليمنيـة خلال الـفترة (2004–2009) سـتّ حـروب متتابعـة ضـد جماعـة الحوثـيين في صعـدة، بدعـم لوجسـتي واسـتخباراتي مـن المملكـة العربيـة السـعودية، التـي رأت في نشـوء الجماعـة الزيديـة الموالية لإيـران تهديـدًا مبـاشرًا لأمنهـا[36].

هـذا الدعـم السـعودي سـاهم مؤقتًـا في توحيـد صفـوف النظـام بين صالـح والأحمـر، إلا أن هـذا التحالـف ظـل هشًـا وقائمًـا على الشـكوك المتبادلـة

فقـد تشـكّلت جبهـات الحـرب مـن قـوتين رئيسـيتين: الفرقـة الأولى مـدرع التابعـة لـعلي محسـن الأحمـر، وقـوات الحـرس الجمهـوري بقيـادة نجـل الرئيـس، العميـد أحمـد علي عبداللـه صالـح

لكـن مـع تقـدم الحـرب، تصاعـدت الخلافات الميدانيـة، إذ اتهـم الأحمـر سلاح الجـو اليمنـي والسـعودي بقصـف مواقـع متقدمـة تابعـة لقواتـه عـن طريـق الخطـأ، بينما كان مقربـون مـن صالـح يـشيرون إلى أن الأحمـر يسـتغل الحـرب لتسـليح قبائلـه في حـرف سـفيان وعمـران ومناطـق زيديـة أخـرى

ويقـول مسـؤول عسـكري بـارز في نظـام صالـح لمجلـة بريـم إن الرئيـس أرسـل حينهـا اللـواء أحمـد سـعيد بـن بريـك، مديـر دائـرة الرقابـة والتفتيـش في وزارة الدفـاع، لتفقـد الجبهـات، فاكتشـف أن بعـض القيـادات العسـكرية، وهـم في الأصـل زعماء قبائـل شماليـة، حولـوا الحـرب إلى مصـدر لـلثراء مـن خلال تهريـب الـسلاح والمـؤن وحرمـان الجنـود مـن الإمـدادات

لجـأ بـن بريـك إلى حيلـة ذكيـة، إذ أبلـغ تلك القيـادات أن الرئيـس يريـد لقاءهـم في صنعـاء، لكنهـم نقلـوا على متن طائـرة عسـكرية إلى قاعـدة الشرطـة العسـكرية للتحقيـق معهـم

غير أن صالـح، وبسـبب الضغـوط القبليـة، أمـر بـإطلاق سراحهـم مقابـل التزامهـم

(36) رولا القـط تكتـب لـ(اليـوم الثامـن): مـن طالبـان إلى القاعـدة.. دور محـوري لإيـران في دعـم الإرهـاب بالمنطقـة - اقـرأ المزيـد : https://alyoum8.net/articles/95303

بالبقـاء في منازلهـم، مـا أثـار غضـب علي محسـن الأحمـر، الـذي ردّ بسـحب وحـدات مـن جبهـات صعـدة، لتنهـار مواقـع متقدمـة وتسـتعيد جماعـة الحوثـيين أنفاسـها

وفي منتصـف عـام 2010، كانـت الجماعـة قـد اسـتعادت قوتهـا وتوسـعت نحـو عمـران، لتصبـح بعـد عـام واحـد فقـط - في 2011 - على مشـارف العاصمـة

ومـع انـدلاع الانتفاضـة الشـعبية ضـد نظـام صالـح، انتقلـت جماعـة الحوثـيين إلى سـاحة جامعـة صنعـاء، حيـث وفّـرت لهـا قـوات علي محسـن الأحمـر حمايـة ضمنيـة بعـد انشـقاقه عـن النظـام، في حين كانـت عنـاصر القاعـدة [37]والقبائـل الموالـية للأحمـر تهاجـم مواقـع الحـرس الجمهـوري في أرحـب شمال صنعـاء[38].

دخلـت الـبلاد مرحلـة غير مسـبوقة مـن الفـوضى والانقسـام، ففـي الجنـوب، اسـتغل تنظيـم القاعـدة انهيـار الأجهـزة الأمنيـة ليسـيطر على مدينـة زنجبـار، مركـز محافظـة أبين، في منتصـف عـام 2011، دون مقاومـة تُذكـر

كانـت تلـك السـيطرة بمثابـة إعلان عـن قيـام أول "إمـارة" للتنظيـم في اليمـن

وفي خضـم هـذا الانهيـار، وقـع تفجير جامع النهديـن في دار الرئاسـة عـام 2012، والـذي اسـتهدف الرئيـس صالـح وكبـار قياداتـه خلال صلاة الجمعـة، اتهـم النظـام حينهـا جماعـة الإخـوان المسـلمين المتحالفـة مـع الحوثـيين بالوقـوف وراء العمليـة، مـشيرًا إلى اسـتخدام متفجـرات بتقنيـة إيرانيـة، في إشـارة رمزيـة إلى التلاقـي بين الطـرفين ضـد النظـام

أدت إصابـة «صالـح» البليغـة ومقتـل عـدد مـن معاونيـه إلى تسريـع المبـادرة الخليجيـة التـي نقلـت السـلطة إلى نائبـه عبدربـه منصـور هـادي، في محاولـة لإنقـاذ اليمـن مـن السـقوط الكامـل

هـادي رئيـس متمـرد على جماعـة الإخـوان في مواجهـة الهـجمات الإرهابيـة

غير أن انتقـال السـلطة لم ينـهِ الصراع، بـل فتـح البـاب أمـام مرحلـة جديـدة مـن الهيمنـة الإخوانيـة على القـرار السـياسي والعسـكري في صنعـاء، بـدأت حكومـة هـادي، تحـت ضغـط حـزب الإصلاح الإسلامـي، بتفكيـك وحـدات الحـرس الجمهـوري والقـوات الخاصـة، وهـي النخبـة العسـكرية الأقـدر على مواجهـة القاعـدة والحوثـيين، مـا أضعـف بنيـة الجيـش وعمّـق الفـوضى

في هـذه الـفترة، ركّـزت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة على تنفيـذ عمليـات "الـدرون" (الطائـرات بـدون طيـار) ضـد قيـادات تنظيـم القاعـدة، لكنهـا تجاهلـت المشـهد السـياسي المنقسـم، واكتفـت بالتنسـيق الاسـتخباراتي دون دعـم حقيقـي لبنـاء شريـكٍ مـحلي فعّـال

أثـار هـذا النهـج امتعـاض حـزب الإصلاح، فخـرج عبدالمجيـد الزنـداني في تصريحـات علنيـة يدعـو إلى "الحـوار مـع الجماعـات الجهاديـة"، فـيما شـكّل الحـزب لجنـة دينيـة برئاسـة عبدالوهـاب الهتـار لـ"مناصحـة أعضـاء القاعـدة"، في محاولـة لاحتـواء التنظيـم لا

(37) شعارات القاعدة تُشاهَد من بوابة معسكر «يحيص» في أرحب ويضم فارين من أبين وشبوة - وكالة خبر للأنباء - خاص: ١١:٠٠ ٠٢/٠٧/٢٠١٤

(38) اليمن.. مقتل ٢٠ حوثياً بكمين نصبته القاعدة في أرحب - قناة دجلة العراقية 2011

مواجهتـه

لكـن الواقـع الميـداني كان يـسير بعكـس ذلـك.. ففـي ديسـمبر 2013، نفّـذ التنظيـم أول سلسـلة تفـجيرات نوعيـة في صنعاء، اسـتهدفت وزارة الدفـاع ومجمّـع العـرضي الطبـي، في محاولـة لاغتيـال الرئيـس هـادي

أسـفرت الهـجمات عـن مقتـل الـعشرات بينهـم مدنيـون، وقـدم التنظيـم بعدهـا "اعتـذارًا" رسـميًا غير مسـبوق، زاعمًا أن الهـدف كان عسـكريًا

غير أن الاعتـذار كان غطـاءً لاسـتعداد أكبر، إذ بـدأ التنظيـم بتوسـيع نشـاطه في لـودر وأبين، قبـل أن تتصـدى لـه اللجـان الشـعبية والقبائـل المحليـة بدعـم مـن الرئيـس هـادي، الـذي أدرك مبكـرًا أن المعركـة ضـد الإرهـاب تتجـاوز قـدرات الدولـة المنهكـة

غير أن المواجهـة لم تتوقـف عنـد حـدود أبين[39].. فبيـنما كانـت «هـادي» يخـوض معركـة طويلـة ضـد القاعـدة، عـن طريـق القبائـل، كانـت جماعـة الحوثـيين تتقـدّم نحـو عمـران وصنعـاء، مسـتفيدة مـن تمـرد الألويـة الموالية لـعلي محسـن الأحمـر[40]، ومنهـا اللواء 310 مـدرع بقيـادة حميـد القشـيبي[41]، الـذي قُتـل في يوليـو 2014 أثنـاء اقتحـام الحوثـيين لعمـران[42].

وفي 21 سـبتمبر 2014، سـقطت العاصمـة صنعـاء بالكامـل بيـد الحوثـيين[43]، لتبـدأ مرحلـة الانـقلاب، حيـث أجبر الرئيـس هـادي على توقيـع اتفـاق[44] "السـلم والشراكـة"[45]، بيـنما كانـت الأجهـزة الأمنيـة – بقيـادة وزيـر الداخليـة الإخـواني عبـده الترب – تسـمح بدخـول الحوثـيين إلى أقسـام الشرطـة ومؤسسـات الدولـة

تُوجـت تلـك التطـورات بإطاحـة حكومـة محمـد سـالم باسـندوه، واسـتقالة هـادي نفسـه تحـت ضغـط الحوثـيين مطلـع 2015، قبـل أن يتمكـن مـن الفـرار إلى عـدن بمسـاعدة زعماء قبائـل

كانـت تلـك اللحظـة إعلانًـا فعليًـا لانهيـار الدولـة اليمنيـة، وبدايـة مرحلـة جديـدة مـن الصراع الإقليمـي على اليمـن، حيـث بـرز الإرهـاب مجـددًا كـ أداة لإعـادة تشـكيل المشـهد السـياسي، في ظـل تراجـع الـدور الأمـريكي، وتحـوّل الحـرب على الإرهـاب إلى مجـرد ضربـات عميـاء دون استراتيجيـة

(39) Human Rights Watch – "Between Drone Strikes and Yemeni Politics: The Human Cost of Counterterrorism in Yemen", HRW Report, 2013.

(40) اللـواء علي محسـن الأحمـر يكشـف عـن تعـرض القشـيبي للغـدر بعـد اتفـاق وقـف اطلاق النـار ويصـف الحوثـيين بقـوى الغـدر والخيانـة - مؤسسـة عـدن الغـد للإعلام اقـرأ المزيـد : https://www.adngad.net/news/114942

(41) الإخـوان المسـلمون في اليمـن.. خصومـة جديـدة للجنـوب - مؤسسـة عـدن الغـد للإعلام - صالـح أبوعـوذل : الخميـس - ٢٠ أغسـطس ٢٠١٥: اقـرأ المزيـد : https://www.adngad.net/articles/167156

(42) اللحظات الأخيرة في حياة العميد القشيبي وكيف قتل؟ - مؤسسة عدن الغد للإعلام الأربعاء - ٠٩ يوليو ٢٠١٤ اقرأ المزيد : https://www.adngad.net/news/112994

(43) تنظيم الإخوان سلم اليمن لإيران بدعوى الانحناء للعاصفة: اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات : https://alyoum8.net/videos/584

(44) اتفـاق السـلم والشراكـة و التـزام حـزب الإصلاح بمـا عاهـد عليـه ؟! مؤسسـة اليـوم الثامـن للإعلام والدراسـات - الكاتـب شـهاب الحامـد : اقـرأ المزيـد https://alyoum8.net/articles/28924:

(45) اليمـن: تسلسـل زمنـي لتصاعـد الأحـداث وصـولا إلى «عاصفـة الحـزم»: بي بي سي عربيـة -٢٧ مـارس/ ٢٠١٥ | https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/03/150327_timeline_yemen_crisis_recent_developments

صعود الدور الجنوبي في الحوثيين والتنظيمات المتطرفة (2015-2025)

في 21 فبراير 2015م، وصل الرئيس عبدربه منصور هادي إلى العاصمة عدن في الذكرى الثالثة لانتخابه رئيسًا توافقيًا لليمن، بعد رحلة فرار معقدة من صنعاء إثر تمكّن جماعة الحوثيين من السيطرة على القصر الرئاسي ووضعه قيد الإقامة الجبرية

كانت عملية الإفلات من قبضة الحوثيين أشبه بالمستحيلة، ولذلك مثّل وصوله إلى عدن حدثًا سياسيًا مفصليًا، أعاد الأمل إلى الشارع الجنوبي[46] الذي رأى في هادي رمزًا مرحليًا لإحياء الدولة وإنهاء الوصاية الحوثية

أعلن هادي عدن عاصمةً مؤقتة للجمهورية اليمنية، وحظي بدعم إقليمي واسع من دول مجلس التعاون الخليجي، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة، إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية التي رأت في وجوده عنصر توازن ضد التمدد الإيراني عبر الحوثيين

لكن الرئيس الجديد كان بلا جيش فعلي.. فالقوات المتمركزة في عدن - كقوات قاعدة بدر، ومعسكر صلاح الدين، ومعسكر الصولبان التابع للأمن المركزي - لم تعلن ولاءها له، فيما كانت معظم التشكيلات الأمنية في حالة تشتت أو ولاءات مزدوجة

لم يكن أمام هادي سوى اللجان الشعبية التي اعتمد عليها سابقًا في حربه ضد تنظيم القاعدة في أبين (2012-2013)، فكانت هذه التشكيلات محدودة التسليح هي نواته العسكرية الوحيدة في تلك اللحظة الحرجة

بدأ هادي بمحاولة إعادة هيكلة الأجهزة الأمنية في عدن لإثبات سلطته، فأصدر قرارًا بإقالة العميد عبدالحافظ السقاف، قائد قوات الأمن الخاصة، بعد اتهامه بالتنسيق مع الحوثيين، الا انه رفض تنفيذ القرار، وأعلن التمرد، لتندلع في مارس 2015م أولى المواجهات المسلحة بين القوات الموالية لهادي وعناصر الأمن الخاصة المتمردة

قاد القيادي علي الصمدي - أحد أبرز قادة اللجان الشعبية - المعركة ضد السقاف، وألقى بيانًا دعا فيه إلى «تلاحم جنوبي لمواجهة اجتياحٍ جديد شبيه بحرب صيف 1994م»، سقط الصمدي شهيدًا في تلك المعركة، لكنه خلّد لحظة التحوّل: من تمرد أمني محدود إلى نواة مقاومة جنوبية منظّمة

وسرعان ما انضمت إلى هذه المواجهات وحدات من الجيش والمقاتلين الجنوبيين السابقين، مدفوعة بإحساسٍ جمعي بأن عدن تواجه غزوًا آخر قادمًا من اليمن

مع تزايد حدة المعارك، أدرك هادي أن الإمكانيات العسكرية المحلية لا تكفي لمواجهة تحالف الحوثي-صالح الذي بدأ يتقدم من لحج باتجاه عدن

فوجّه نداءً رسميًا إلى دول مجلس التعاون الخليجي، داعيًا إلى تدخل عسكري تحت مظلة «درع الجزيرة» لحماية الشرعية والدولة

(46) مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات - أرشيف تقارير حول توظيف جماعة الإخوان لملف الإرهاب، عدن، ٢٠٢٣م.

في المقابل، كان علي عبدالله صالح يرى في الفوضى المتصاعدة فرصة لاستعادة موقعه في الحكم من بوابة عدن، معتقدًا أن بإمكانه استخدام الحوثيين كقوة مؤقتة للضغط ثم التخلص منهم لاحقًا، لكن حساباته كانت خاطئة؛ إذ لم يُدرك أن الحوثيين لم يعودوا مجرد ذراع، بل أصبحوا القوة المهيمنة على الجيش والسلاح الجوي

وفي أواخر مارس 2015م، تعرّض قصر معاشيق الرئاسي – مقر إقامة هادي – لقصفٍ جوي من طائرات تابعة لسلاح الجو اليمني، الذي كان قد سقط بالكامل تحت سيطرة الحوثيين

تزامن ذلك مع انهيار شامل للمنظومة الأمنية والعسكرية في عدن، حيث سُحبت القوات من مواقعها، وتُركت المعسكرات بلا قيادة، فيما نُهبت مخازن السلاح علنًا أمام أعين السكان

دخلت المدينة في فوضى عارمة، وغادر الرئيس هادي قصر معاشيق بعد اختراق حراسته وسقوط بوابته الرئيسية إثر تدفق مدنيين لنهب محتوياته

كانت تلك اللحظة إعلانًا غير رسمي لانهيار الدولة المركزية في اليمن، وولادة مرحلة جديدة ستُعيد رسم خريطة السلطة والنفوذ على أسس مختلفة، تقودها لاحقًا المقاومة الجنوبية بدعم مباشر من التحالف العربي

على طول الطريق الساحلي الممتد من معبر العلم شمال عدن، مرورًا بميناء شُقرة وأحور وسواحل شبوة وصولًا إلى المكلا، كان الرئيس عبدربه منصور هادي يسابق الزمن بحثًا عن ملاذٍ آمن، بعد انهيار العاصمة المؤقتة عدن وسقوط قصر معاشيق بيد الفوضى

كانت وجهته الأولى مدينة المكلا في محافظة حضرموت، في محاولة لاستنساخ تجربة الرئيس الجنوبي السابق علي سالم البيض الذي اتخذ من المدينة مقرًا مؤقتًا قبيل سقوط عدن في حرب 1994م

لكن الظروف هذه المرة كانت أكثر تعقيدًا وخطورة

فخلال الرحلة الساحلية الطويلة، تلقى اللواء علي الأحمدي – رئيس جهاز الأمن القومي والمستشار الأمني المقرب من هادي – معلومات استخباراتية أكدت أن الوحدة العسكرية المكلّفة بحماية القصر الجمهوري في المكلا قد أعلنت ولاءها الكامل لتحالف علي عبدالله صالح والحوثيين، وأن أي محاولة لاقتحام المدينة ستعني الوقوع في كمينٍ مضمون

استوعب هادي الرسالة، وقرّر عدم التوجه نحو المكلا، ليتابع رحلته شرقًا عبر الطريق الساحلي الوعر نحو محافظة المهرة، أقصى الحدود الشرقية لليمن

كانت المهرة آنذاك المنطقة الوحيدة التي لم تصلها يد الحوثيين ولا قوات صالح، وتتمتع بنفوذ قبلي قوي وشبه استقلالٍ إداري عن صنعاء

وفي اللحظة التي دخل فيها هادي مدينة الغيضة عاصمة المهرة، كانت عملية "عاصفة الحزم" قد انطلقت فجر 26 مارس 2015م، بقرارٍ من المملكة العربية السعودية وإجماعٍ خليجي، لتعلن عن تحولٍ جذري

في مسار الصراع اليمني من حربٍ أهلية إلى حربٍ إقليمية ذات بعدٍ دولي، في مواجهة مشروع إيراني توسعي يستهدف المنطقة

هذه اللحظة، التي تزامنت فيها رحلة هادي على الساحل الجنوبي مع انطلاق أولى الضربات الجوية لعاصفة الحزم[47]، كانت تمثّل نقطة انكسار الدولة اليمنية القديمة وبداية مرحلة جديدة سيتحوّل فيها الجنوب إلى الميدان الرئيسي للحرب على الإرهاب ولإعادة تشكيل موازين القوى الإقليمية

قليلة من وصوله إلى الغيضة في محافظة المهرة، انتقل الرئيس عبدربه منصور هادي إلى مسقط، ومنها إلى الرياض، حيث بدأ إعادة ترتيب ما أسماه بـ «أوراق الشرعية الجديدة»، بدعم مباشر من دول مجلس التعاون الخليجي

في تلك الأثناء، كان الجنوب يعيش واقعًا مختلفًا تمامًا؛ فبينما انتقلت القيادة السياسية إلى الخارج، كانت القيادة الميدانية تولد من الداخل، وسط فراغٍ كامل في مؤسسات الدولة وانهيارٍ تام للجيش النظامي

على الأرض، بدأت المقاومة الجنوبية تتشكل بصورةٍ عفوية ومنظمة في آنٍ واحد، تجمع بين العسكريين المسرّحين منذ حرب 1994م والشباب المنتمين إلى الحراك الجنوبي، الذين وجدوا في لحظة انهيار عدن دافعًا وجوديًا لحمل السلاح والدفاع عن الأرض

كان التحدي حينها مضاعفًا: فالمعركة لم تكن فقط ضد قوات الحوثيين وصالح المتقدمة، بل ضد ذاكرة هزيمةٍ قديمة أراد الجنوب محوها بثمنٍ جديد

في هذه الأجواء، بدأ الدعم الخليجي يتدفق تدريجيًا نحو عدن، بقيادة الإمارات العربية المتحدة التي تبنّت مبكرًا رؤية واضحة لمساندة القوات المحلية وبناء تشكيلات أمنية منظمة قادرة على مواجهة الجماعات المتطرفة والميليشيات الغازية معًا

من رحم الفوضى وركام المؤسسات المنهارة، بدأت ملامح مرحلة جديدة تُعرف باسم «مرحلة المقاومة الجنوبية»، التي ستتحول لاحقًا إلى النواة الأولى للنظام الأمني الجنوبي الحديث، وتؤسس لواحدٍ من أهم التحولات في تاريخ اليمن الحديث «انتقال مركز القوة من صنعاء إلى عدن

عاصفة الحزم.. من الدفاع عن الشرعية إلى تأسيس الشراكة الأمنية في الجنوب (2015-2017)

كانت المقاومة الجنوبية تقف على أرضيةٍ صلبةٍ ووعيٍ وطني متجذّر، تخوض معركتين في آنٍ واحد: التخلص من الاحتلال القديم والجديد معًا

ارتفعت أعلام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في كل حيّ وشارعٍ وموقعٍ عسكري، فيما أعاد ضباط الجيش الجنوبي السابقون تشغيل الدبابات والآليات التي كانت معطلة منذ سنوات، في مشهدٍ مثّل عودة الوعي العسكري الجنوبي من تحت الركام

لقد لعبت الخبرة الميدانية للكوادر

(47) ابراهيم آل مرعي يحمل منذ وقت مبكر الإخوان مسؤولية تعثر الحرب ضد الحوثيين: اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات : https://alyoum8.net/videos/630

العسكرية الجنوبية دورًا محوريًا في تنظيم الصفوف وقيادة العمليات القتالية، وهو ما منح المقاومة تفوقًا نوعيًا رغم شُحّ الموارد وضعف التسليح

تزامن ذلك مع تفاعلٍ إيجابي لافت في الإعلام السعودي، الذي قدّم المعركة على أنها دفاع مشروع عن عدن والجنوب، بل ذهب بعض المحللين العسكريين إلى حدّ الإيحاء بدعم حق الجنوب في تقرير مصيره واستعادة دولته السابقة

لكن بين الوعود الإعلامية والتنفيذ العملي، كانت الإمارات العربية المتحدة تتحرك على الأرض بخطى واثقة، بوصفها الشريك الأكثر فعالية داخل التحالف العربي

أرسلت أبوظبي عربات مدرعة حديثة وكتيبة من قواتها الخاصة المدربة على قتال الشوارع، لتقاتل جنبًا إلى جنب مع مقاتلي المقاومة الجنوبية في أحياء عدن

وسرعان ما اكتسبت القوات الإماراتية حاضنةً شعبيةً واسعة، بعد أن ظهرت انضباطها الميداني وانفتاحها الإنساني في التعامل مع الأهالي، مما جعلها طرفًا موثوقًا في معركة عدن

في السابع من يوليو 2015م، وهو التاريخ الذي كان يُحيي في ذاكرة الجنوبيين ذكرى احتلال عدن عام 1994م، تحوّل اليوم ذاته إلى رمزٍ للتحرر؛ إذ كانت المدينة قد بدأت بالفعل معركتها الأخيرة ضد الحوثيين، محررةً المطار وعدداً من الأحياء التي كانت تحت سيطرة الجماعة

وفيما كانت عدن تستعيد أنفاسها، كانت القوات الموالية للحوثيين تنسحب من مدينة المكلا، لتسلمها فعليًا إلى تنظيم القاعدة، في صفقةٍ غامضةٍ كشفت حجم التداخل بين الإرهاب والسياسة في الشمال

استمرت عمليات التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات في مطاردة الحوثيين حتى تحرير ميناء المخا، لكن مع حلول أكتوبر 2015م واجهت عدن تحديًا جديدًا أكثر تعقيدًا: حرب التنظيمات الإرهابية

شهدت المدينة سلسلة هجمات انتحارية، أبرزها استهداف حكومة خالد بحاح في فندق القصر، وهجوم آخر على منزل الزعيم القبلي صالح بن فريد العولقي في مديرية البريقة، إلى جانب موجة اغتيالاتٍ شبه يومية طالت ضباطًا وشخصياتٍ دينية وسياسية

في هذه الأجواء المضطربة، عاد الرئيس عبدربه منصور هادي إلى عدن، وبدأ مرحلة تأسيس الأجهزة الأمنية الجنوبية

أصدر قرارًا بدمج المقاومة ضمن الجيش والأمن، وتم إنشاء اللواء الأول دعم وإسناد بقيادة العميد منير اليافعي (أبو اليمامة)، وهو ضابط سابق في الجيش الجنوبي

بدأت المرحلة الأولى من تأمين حي المنصورة وإخراج الجماعات المسلحة، ثم توسعت مهام القوة لتشمل تفكيك خلايا إرهابية كانت تنشط في المدينة

تحمّلت الإمارات الجزء الأكبر من مسؤولية مكافحة الإرهاب في هذه الفترة، إذ كان على التحالف مواجهة تحدياتٍ أمنيةٍ مزدوجة

تثبيت الأمن في المدن المحررة من الحوثيين، وملاحقة التنظيمات الإرهابية

التي عادت للظهور في محافظات الجنوب

وفي الوقت الذي كانت فيه عدن تستعيد أمنها تدريجيًا، كانت مدينة المكلا تعيش عاماً كاملاً تحت حكم تنظيم القاعدة، ما جعل معركة تحريرها اختبارًا حاسمًا لمصداقية الحرب على الإرهاب

من هنا، انتقلت الإمارات إلى تأسيس قوات النخبة الحضرمية، لتتولى مهمة تحرير المكلا من القاعدة، إيذانًا ببدء مرحلة جديدة في تاريخ الجنوب واليمن عمومًا، عنوانها:»من مقاومة الاحتلال إلى مكافحة الإرهاب وبناء الشراكة الأمنية المحلية»

بعد أقل من عامٍ على تحرير عدن (العاصمة، من ميليشيات الحوثيين، وجدت قوات التحالف العربي نفسها أمام تحدٍّ جديد لا يقل خطورة»تنظيم القاعدة في جزيرة العرب»، الذي استغلّ الفوضى التي رافقت الحرب ليستولي على مدينة المكلا، ثاني أكبر موانئ اليمن، في أبريل 2015م، ويحوّلها إلى عاصمة فعلية له على ساحل بحر العرب

خلال عامٍ من سيطرة التنظيم على المدينة، تحوّلت المكلا إلى قاعدة استراتيجية لعمليات القاعدة في الجنوب والشرق، حيث أنشأ التنظيم محاكم شرعية وسجونًا خاصة، وجمع الضرائب من الميناء، وفرض على سكان المدينة «زكاة الجهاد»، ما جعلها نسخة مصغّرة من إمارة الرقة السورية

قدّر تقرير لمجموعة Soufan Center الأمريكية أن التنظيم حقق إيراداتٍ شهرية تجاوزت 2 مليون دولار من عائدات الميناء والنفط، مما جعله أغنى فرعٍ للقاعدة في العالم حينها

في ظل هذا الواقع، وضعت الإمارات العربية المتحدة خطة عسكرية نوعية لتحرير المدينة، أُطلق عليها اسم «عملية الفيصل»

بدأ الإعداد للعملية في مارس 2016م، بتشكيل قوات النخبة الحضرمية من أبناء حضرموت، وتدريبها في معسكرات بإشراف ضباط إماراتيين ضمن قوات النخبة الخاصة، تلقت هذه القوات تدريبات مكثفة على قتال الشوارع وتحرير الموانئ والمناطق الحضرية

وفي فجر 24 أبريل 2016م، انطلقت العملية من محورين رئيسيين، المحور الغربي من منطقة بروم باتجاه المكلا، والمحور الشرقي من منطقة ريسون باتجاه غيل باوزير

في تلك العملية الدقيقة، برز الدور القيادي لمحافظ حضرموت حينها اللواء أحمد سعيد بن بريك، الذي تولّى التخطيط والإشراف السياسي والميداني على معركة تحرير ساحل حضرموت، منسّقًا جهوده مع قيادة التحالف العربي، ومع القائد العسكري الميداني اللواء فرج سالمين البحسني، الذي كان يشغل منصب قائد المنطقة العسكرية الثانية

قاد البحسني، بتفويضٍ من التحالف العربي، العملية العسكرية لتحرير المكلا في فجر 24 أبريل 2016م، بمشاركة قوات النخبة الحضرمية التي تمّ تدريبها وتجهيزها بدعمٍ إماراتي مباشر

تقدّمت القوات بسرعة خاطفة بغطاء

جـوي إمـاراتي دقيـق، وبدعـم اسـتخباراتي مـن التحالـف، وخلال 36 سـاعة فقـط، انهـار التنظيـم وانسـحب مقاتلـوه باتجـاه وادي حضرمـوت، تـاركين وراءهـم كميـات ضخمـة مـن الأسـلحة، بينهـا عربـات مدرعـة وصواريـخ حراريـة كانـت قـد صـودرت مـن معسـكرات الجيـش اليمنـي السـابق

أعلنـت قيـادة التحالـف العـربي في اليـوم التـالي تحريـر مدينـة المـكلا بالكامـل مـن عنـاصر القاعـدة، واسـتعادة السـيطرة على أكثر مـن 350 كيلـومترًا مـن السـاحل الجنـوبي الشرقـي، لكـن أهميـة العمليـة لم تكـن عسـكرية فحسـب، بـل نموذجيـة في فلسـفة مكافحـة الإرهـاب، فبـدلًا مـن القصـف الجـوي كما كانـت تفعـل الولايـات المتحـدة، قامـت الإمـارات ببنـاء شريـك محلي ميـداني محـترف، يمثـل نموذجًـا قـابلًا للاسـتمرار

بعـد التحريـر، أعـادت الإمـارات فتـح ميناء المـكلا ومطـار الريـان الـدولي بعـد تأهيلـهما، وأسسـت مراكـز تدريـب وأمـن ومكافحـة إرهـاب بـإشراف النخبـة الحضرميـة

كما أُنشـئ جهـاز اسـتخبارات محـلي لمتابعـة الخلايـا النائمـة، وبـدأ العمـل الميـداني بعمليـات دهـم دقيقـة في مديريـات غيـل باوزيـر والشـحر وتريـم، أفضـت إلى تفكيـك أكثر مـن 50 خليـة إرهابيـة خلال عـامٍ واحـد فقـط

وعقـب معركـة المـكلا، انتقلـت جهـود مكافحـة الإرهـاب إلى شـبوة، إذ كانـت المحافظـة تمثـل المعقـل الأكثر نشـاطًا للقاعـدة منـذ أوائـل الألفيـة، نظـرًا لوعورتهـا الجغرافيـة وتداخلهـا القـبلي

لكـن بعـد نجـاح تجربـة النخبـة الحضرميـة، شرعـت الإمـارات في تكـرار النمـوذج ذاتـه عبر تشـكيل قـوات النخبـة الشـبوانية، تحـت إشراف غرفـة عمليـات التحالـف في عـدن

تلقـت هـذه القـوات تدريبـات مكثفـة في معسـكرات بلحـاف والعلـم، وجهـزت بآليـات قتاليـة حديثـة ومدرعـات نوعيـة

في أغسـطس 2017م، أُطلقـت عمليـة السـيف الحاسـم لتحريـر مديريـات شـبوة مـن عنـاصر القاعـدة، خصوصًـا في مناطـق عـزان، النقبـة، الصعيـد، والسـاق

تقدّمـت القـوات بسرعـة خاطفـة، مسـتفيدة مـن الغطـاء الجـوي الإمـاراتي والدعـم الاسـتخباراتي الأمـريكي، وتمكنـت خلال أقـل مـن أسـبوع مـن تحريـر كامـل مديريـات شـبوة الشرقيـة والوسـطى

قالـت القيـادة الإماراتيـة حينهـا إن العمليـة لم تكـن مجـرد تحريـرٍ للأرض، بـل بدايـة «معركـة اجتثـاث الإرهـاب»، لأن الهـدف لم يكـن طـرد التنظيـم فقـط، بـل تفكيـك بنيتـه الاجتماعيـة والماليـة

بـدأت القـوات بعـد التحريـر بتنفيـذ حملـة شـاملة لنـزع الألغـام، وتـأمين الطـرق السـاحلية، وتفكيـك مخـازن الأسـلحة في الجبـال، مـع حملـة موازيـة لاعتقـال القيـادات والعنـاصر المتخفيـة، بالتنسـيق مـع الأجهـزة الأمنيـة الأمريكيـة

وبحسـب تقريـر صـادر عـن القيـادة المركزيـة الأمريكيـة (CENTCOM) في نهايـة عـام 2017، فـإن عمليـات النخبـة الشـبوانية نجحـت في تحييـد أكثر مـن 200 عـنصرٍ مـن القاعـدة، واعتقـال الـعشرات، واسـتعادة السـيطرة على ممـراتٍ رئيسـية كانت تُسـتخدم

لتهريب الأسلحة بين اليمن والصومال عبر سواحل بحر العرب

من مكافحة الإرهاب إلى تأسيس الكيان السياسي الجنوبي (2017–2021)

وعلى الرغم من فاعلية العمليات الأمنية ضد تنظيم القاعدة في محافظات حضرموت وشبوة وأبين، إلا أن التنظيم حاول مرارًا استعادة حضوره عبر عملياتٍ انتحارية متفرقة استهدفت مواقع أمنية وعسكرية في المكلا وعتق وزنجبار

لكن هذه العمليات فقدت تأثيرها الاستراتيجي السابق، إذ واجهتها القوات المحلية الجنوبية بقدرة استخباراتية عالية ويقظة ميدانية متقدمة، حدّت من الخسائر ومنعت عودة التنظيم إلى المدن المحررة

في المقابل، كانت شبوة تخطو خطواتٍ أولى نحو الاستقرار الأمني، قبل أن يشهد المشهد الجنوبي تحولًا سياسيًا كبيرًا أربك موازين القوى في الداخل

فبعد أن نجح الجنوب في بناء شراكة أمنية وعسكرية فاعلة مع التحالف العربي، برزت الحاجة إلى كيان سياسي جامع يعبر عن الإرادة الشعبية الجنوبية ويمنح التمثيل السياسي غطاءً مؤسسيًا مشروعًا

وفي مايو/أيار 2017م، أُعلن في العاصمة عدن عن تأسيس المجلس الانتقالي الجنوبي، برئاسة محافظ عدن المقال عيدروس قاسم الزبيدي، ونائبه وزير الدولة هاني بن بريك، وعضوية محافظي محافظات لحج (ناصر الخبجي) وشبوة (أحمد لملس) وحضرموت (أحمد سعيد بن بريك) ووزير النقل (مراد الحالمي) وعدد من القيادات السياسية والعسكرية

جاء الإعلان بعد أسبوعٍ من قرارٍ رئاسي بإقالة الزبيدي من منصبه، ما أعطى التأسيس بعدًا رمزيًا وسياسيًا قويًا، بوصفه ردة فعلٍ جنوبيةٍ على محاولات الإقصاء الممنهج من قبل الرئاسة اليمنية، وكمحاولة لتنظيم الجهد الجنوبي ضمن إطار سياسي موحّد

تأسيس المجلس الانتقالي الجنوبي مثّل رافعة سياسية وأمنية حقيقية في معادلة الحرب على الإرهاب، إذ ساهم في توحيد الجهود المحلية تحت قيادة واضحة، ورفع مستوى التنسيق مع التحالف العربي، لا سيّما مع الإمارات العربية المتحدة، التي رأت في الكيان الجديد شريكًا محليًا يمكن الاعتماد عليه في تأمين المدن وإدارة الملفات الأمنية الحساسة

انعكس ذلك على تحسّنٍ ملحوظ في الوضع الأمني في عدن ولحج وأبين، وانخفاض الهجمات الإرهابية بنسبة لافتة خلال عامي 2017 و2018، وفق تقارير دولية

غير أن محافظة شبوة شهدت لاحقًا انتكاسة سياسية وأمنية مؤلمة.. ففي أغسطس 2019م اندلعت فيها معركة واسعة إثر دعم السلطات المحلية في مأرب للمحافظ الموالي لجماعة الإخوان المسلمين، محمد صالح بن عديو

قادت مأرب حينها عمليةً عسكريةً ضخمة بدعمٍ مباشرٍ من قيادات حزب الإصلاح، انتهت بسيطرة تلك القوات على مدينة عتق، وإضعاف قوات النخبة

الشبوانية التي كانت تتولى مكافحة الإرهاب في المحافظة

كانت تلك المعركة نقطة فاصلة، إذ تفككت المنظومة الأمنية الجنوبية في شبوة مؤقتًا، ما فتح المجال أمام نفوذٍ إخواني واسعٍ استمر حتى أواخر عام 2021م

ولم يقتصر التمدد العسكري القادم من مأرب[48] على شبوة، بل حاول التوسع نحو محافظة أبين ثم التقدم باتجاه العاصمة عدن

في سبتمبر 2019م، تعرّض مطار عدن الدولي لهجومٍ مدفعيٍ مباشر نفّذته القوات المهاجمة، لكن التحالف العربي بقيادة السعودية تدخّل سريعًا ونفّذ ضربة عسكرية خاطفة حالت دون سقوط العاصمة

أعقب ذلك انسحاب تكتيكي لقوات الإخوان، غير أنها عادت لاحقًا لتسيطر مجددًا على أجزاءٍ من شبوة[49].

وفي نهاية عام 2021م، سلّمت تلك القوات ثلاث مديرياتٍ استراتيجية هي بيحان، عسيلان، وعين إلى جماعة الحوثيين دون قتال، في واحدة من أكثر الوقائع المثيرة للجدل في الحرب اليمنية، ما أثبت هشاشة الولاءات داخل منظومة الشرعية اليمنية، وأعاد طرح سؤالٍ جوهري: من الذي يقاتل الإرهاب فعلاً في اليمن، ومن الذي يستخدمه كورقة سياسية؟

نقل السلطة إلى مجلس القيادة الرئاسي وانطلاق عملية سهام الشرق والجنوب (2022- 2025)

لم تكن إدارة الرئيس عبدربه منصور هادي فاشلة بالضرورة[50]، بقدر ما كانت مكبّلة بالتدخلات السعودية التي عطّلت فاعلية القرار داخل معسكر الشرعية، خصوصًا في الملفات الأمنية والعسكرية في الجنوب

فالرياض – التي رأت في المجلس الانتقالي الجنوبي منافسًا محتملاً داخل التحالف – تعاملت بتحفّظ مع محاولات الجنوبيين فرض إدارة ذاتية مستقرة، مبرّرةً ذلك بأن التركيز على الجنوب قد يُضعف الجبهة الشمالية في مواجهة الحوثيين

إلا أن هذا الموقف السعودي جاء في لحظة كانت فيها الرياض نفسها تخوض مفاوضات خلفية مع طهران[51]، ما جعل الحسابات الميدانية تتحول إلى ورقة سياسية أكثر منها استراتيجية أمنية[52].

في أبريل 2022م، نظّمت السعودية مشاورات موسّعة[53] تحت مظلة مجلس

(48) «رشاد العليمي» في مأرب لإعادة إحياء تحالف حرب «٢٠١٩م».. الطريق إلى صنعاء من عدن: اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات :https://alyoum8.net/posts/94393

(49) إخوان اليمن.. مساع للعودة إلى شبوة و«رشاد العليمي» يدعو لمصالحة مشروطة مع الحوثيين| اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات : https://alyoum8.net/posts/94243

(50) «اليوم الثامن» تبحث الابعاد السياسية لاختيار المحافظة موطنا لـ«القاعدة»..«عبدربه منصور هادي».. سلم السلطة متنحياً لكن أبين لا تزال تدفع الثمن: اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات :https://alyoum8.net/posts/92373

(51) تحليل: ما مستقبل علاقة المملكة العربية السعودية بـ إخوان اليمن؟ اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات : https://alyoum8.net/posts/770

(52) جنوب اليمن في ظل المصالحة السعودية - الإيرانية.. موانئ النفط والأزمات المعيشية كأدوات للتوازن السياسي: اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات :https://alyoum8.net/posts/95590

(53) تقرير: «مشاورات الرياض».. كيف اقنعت «هادي والاحمر» التنحي عن حكم اليمن؟:اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات :https://alyoum8.net/posts/91081

التعاون الخليجي[54] جمعت قوى يمنية متعددة (باستثناء الحوثيين الذين رفضوا الحضور[55]). وأسفرت هذه المشاورات عن نقل السلطة من الرئيس هادي[56] إلى مجلس قيادة رئاسي يرأسه الدكتور رشاد العليمي[57]، ويضمّ ثمانية أعضاء يمثلون اتجاهات سياسية وعسكرية متناقضة، من أبرزهم: عيدروس الزبيدي (رئيس المجلس الانتقالي الجنوبي)، اللواء فرج البحسني (قائد المنطقة العسكرية الثانية في حضرموت)، عبدالرحمن المحرمي (قائد قوات العمالقة الجنوبية)، طارق صالح (قائد المقاومة الوطنية)، وسلطان العرادة وعبدالله العليمي (المحسوبان على حزب الإصلاح)، إضافة إلى عثمان مجلي

منذ اللحظة الأولى، بدت تركيبة المجلس[58] هشة ومتعارضة الأجندات؛ إذ حمل كل عضو مشروعه الخاص. فالمكوّن الجنوبي تبنّى مسار "استعادة الدولة"، بينما عمل الجناح الإخواني على إبقاء ملف الجنوب رهينة للتوازنات السعودية. أما طارق صالح[59]، فقد دخل المعادلة محمّلًا بثقل الصراع مع الحوثيين بعد مقتل عمه الرئيس السابق علي عبدالله صالح في صنعاء نهاية 2017م، وهو ما جعله أقرب إلى التحالف مع الانتقالي منه إلى الإخوان

لكن هذه المعادلة المختلّة سرعان ما انعكست على الأرض، خصوصًا بعد إعلان رئيس المجلس رشاد العليمي تشكيل قوات "درع الوطن"[60] من عناصر غير منضبطة، وهو ما اعتبره المجلس الانتقالي الجنوبي محاولة لخلق قوة موازية تهدف لتقويض جهود القوات الجنوبية في مكافحة الإرهاب

وفي هذا السياق، قرر الانتقالي إطلاق عملية عسكرية واسعة في محافظة أبين تحت اسم "سهام الشرق"، في أغسطس 2022م، استهدفت معاقل تنظيم القاعدة التي كانت تتمركز في مناطق وادي عومران والخيالة ومودية ومناطق جبلية وعرة

ورغم اعتراض الإدارة السعودية المشرفة على الملف اليمني وطلبها تأجيل العملية، أصرّ عيدروس الزبيدي على المضي فيها، معتبرًا أن الإرهاب في أبين تهديد مباشر للأمن الجنوبي، وأن الانتظار سيمنح التنظيم مساحة لإعادة التموضع

قاد العملية العميد عبداللطيف السيد،

(54) ورقة تحليلية ترصد مستقبل العلاقات السعودية – الإيرانية: «صراع بنيوي أم هدنة تكتيكية؟»اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات :https://alyoum8.net/posts/95537

(55) تقرير: «هادي» ينقل السلطة لمجلس قيادة مشروطا بالسلام مع الحوثيين: اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات : https://alyoum8.net/posts/91051

(56) تحليل: عبدربه هادي.. رئيس انتقالي سلم السلطة لكن آثار حكمه لم تنتهِ: اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات :https:// alyoum8.net/posts/9113

(57) تقرير: «مشاورات الرياض».. كيف اقنعت «هادي والاحمر» التنحي عن حكم اليمن؟: اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات :https://alyoum8.net/posts/91081

(58) ترحيب عربي ودولي بنقل هادي صلاحياته لمجلس القيادة الرئاسي: اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات : https://alyoum8.net/posts/91063

(59) الإخوان في اليمن يغيّر استراتيجيته: صالح من «الخصم» إلى «رمز الجمهورية»: اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات :https:// alyoum8.net/posts/95067

(60) السعودية تعزز سلطة منفردة لـ«رشاد العليمي» عسكرياً في محافظات الجنوب: اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات :https://alyoum8.net/posts/94240

قائد قوات الحزام الأمني في أبين، إلى جانب مدير شرطة المحافظة العميد علي الذيب، وعدد من القيادات الميدانية ذات الخبرة الطويلة في مكافحة الإرهاب منذ معارك 2011م

حققت العملية نجاحات واسعة تمثلت في طرد التنظيم من أبرز معاقله الجبلية، وتفكيك عشرات الخلايا، وضبط معامل لتصنيع المتفجرات. غير أن القاعدة لجأت بعد خسارتها إلى تكتيك الهجمات الانتحارية والعبوات الناسفة[61]، وشنّت سلسلة عمليات استهدفت قيادات ميدانية جنوبية، كان أبرزها التفجير الذي أودى بحياة العميد عبداللطيف السيد في أغسطس 2023م، والتفجير الذي استهدف قائد اللواء الثامن صاعقة العميد الخضر حمصان في العام نفسه

ورغم الكلفة البشرية، مثّلت سهام الشرق تحولًا جذريًا في الحرب على الإرهاب، إذ أظهرت قدرة القوات الجنوبية على إدارة معركة مستقلة عالية الكفاءة

لكن المفارقة أن القيادة الرسمية في عدن وصنعاء تجاهلت العملية إعلاميًا؛ إذ امتنعت وكالة الأنباء اليمنية (سبأ) وقناة اليمن الرسمية عن تغطيتها، فيما اكتفت بعض الصحف السعودية مثل عكاظ[62] بالإشارة إليها ضمن "عمليات الجيش اليمني"، وهو توصيف أثار امتعاض قيادة المجلس الانتقالي، واعتُبر تجاهلًا سياسيًا متعمّدًا

وفي المقابل، برز الدعم الإماراتي بوصفه العامل الأكثر تأثيرًا في نجاح العملية. فقد وفّرت أبوظبي الإسناد اللوجستي والتدريب الفني، وهو ما أكسبها احترامًا شعبيًا واسعًا في الجنوب، لكنه أثار أيضًا حملات إعلامية منسقة استهدفتها من قبل أطراف إقليمية محسوبة على محور الدوحة–مسقط–صنعاء، إضافة إلى التنظيم الإرهابي توعد في أكثر من تسجيل مرئي باستهداف المصالح الإماراتية

كشفت تقارير أمنية ميدانية أن تنظيم القاعدة[63] استخدم عبوات ناسفة ومتفجرات إيرانية الصنع[64]، ما عزز فرضية التنسيق غير المباشر بين الحوثيين والتنظيم الإرهابي. وأكدت فرق فنية محلية أن بعض تلك العبوات كانت مزودة بأجهزة استشعار حراري متطورة، تُفعَّل بمجرد مرور هدف متحرك، في دلالة على دعم تقني متقدّم

وبينما ظل مجلس القيادة الرئاسي منقسمًا، قدّم الجنوب نموذجًا أمنيًا واضح المعالم في مكافحة الإرهاب قائمًا على التحالف المحلي والاستقلال العملياتي[65]. وأصبحت سهام الشرق عنوانًا لمرحلة

(61) «القاعدة» تهدد بحرب العبوات والكمائن والقوات الجنوبية ترد بـ«سهام الشرق»| اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات https://alyoum8.net/posts/93697:

(62) مقتل ٦ إرهابيين و٤ جنود في الهجوم.. الجيش اليمني يُفْشِل هجوماً إرهابياً على أبين: صحيفة عكاظ السعودية ٢١ أكتوبر ٢٠٢٥: https://www.okaz.com.sa/news/politics/2218699

(63) « تنظيم القاعدة في اليمن، قال في أحدث اصداراته إنه يقاتل القوات الجنوبية المحسوبة على المجلس الانتقالي الجنوبي في محافظة أبين، وعينه على تحرير القدس»| اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات https://alyoum8.net/posts/94335

(64) تهديد جديد على الملاحة الدولية.. صفقة تحت الطاولة: هل سيغير تحالف الحوثيين والقاعدة معادلات المنطقة؟ - هشام النجار| اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات : https://alyoum8.net/posts/94465

(65) «رشاد العليمي».. رجل السعودية في اليمن يصل المهرة مجدداً.. ما سر اهتمام الرياض بالمحافظة الشرقية؟:اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات :https://alyoum8.net/posts/94213

جديدة من الحرب[66]، لا تُدار من مكاتب الرياض أو واشنطن، بل من الميدان الجنوبي نفسه، حيث تتقاطع الجغرافيا بالهوية، والسياسة بالأمن

لكن ما يستوقف المراقبين في سياق عملية سهام الشرق، هو العملية الإرهابية التي استهدفت قاعدةً عسكرية تابعة للواء الأول دعم وإسناد في محافظة أبين، والتي مثّلت دليلاً على أن تنظيم القاعدة لم يُهزم بعد، بل أعاد تموضعه بأساليب أكثر مرونة

ففي 21 أكتوبر 2025، نفّذ التنظيم هجومًا دمويًا على القاعدة الواقعة في بلدة المحفد[67]، ما أسفر عن مقتل أربعة جنود وإصابة آخرين، في واحدةٍ من أكثر العمليات الإرهابية دموية منذ بدء الحملات الجنوبية لمكافحة الإرهاب عام 2022. وقد وصف المسؤولون المحليون العملية بأنها تصعيد خطير في نشاط التنظيم بعد فترة من الهدوء النسبي، أعقبت النجاحات التي حققتها القوات الجنوبية في تفكيك خلايا القاعدة بين عامي 2023 و2024.

وأعلن تنظيم القاعدة في جزيرة العرب لاحقًا مسؤوليته الكاملة عن الهجوم، مشيرًا إلى أن غالبية المنفذين ينحدرون من صنعاء وإب، أي من مناطق تخضع لسيطرة ميليشيا الحوثي المدعومة من إيران. هذا التفصيل الجغرافي لم يكن عرضيًا، بل يعزز الشبهات حول التداخل العملياتي بين الحوثيين والتنظيم، رغم التناقض الأيديولوجي الظاهري بينهما

تشير تقارير استخباراتية وميدانية إلى أن زعيم القاعدة الحالي سيف العدل يقيم في إيران ويحظى بحمايتها منذ أكثر من ثلاث سنوات، ما يفسر امتلاك التنظيم تجهيزات متطورة ومواد متفجرة إيرانية الصنع تم ضبط بعضها في أبين وشبوة، بما في ذلك طائرات مسيّرة وأنظمة تفجير ذكية

لقد أعاد هذا الهجوم فتح ملف العلاقة المعقّدة بين الإرهاب والطائفية السياسية في اليمن، إذ لم تُسجّل أي مواجهات مباشرة بين الحوثيين وتنظيم القاعدة خلال السنوات الأخيرة، بينما يواصل التنظيم استهداف القوات الجنوبية المدعومة من دولة الإمارات[68]. وهو ما يثير تساؤلات حول طبيعة التحالفات الخفية التي تجمع الحوثيين والقاعدة وجماعة الإخوان المسلمين في خصومة مشتركة ضد الجنوب والإمارات

إن عودة نشاط القاعدة في عام 2025 لا يمكن النظر إليها كحدثٍ معزول، بل بوصفها جزءًا من معادلة إقليمية أوسع، حيث تعمل التنظيمات المتطرفة ضمن شبكات هجينة تمحو الحدود بين العقيدة والانتهازية. فسواء كانت هذه الجماعات حوثية شيعية أو جهادية سنية أو ميليشيات إصلاحية، فإنها تتقاطع في شبكات تمويل

(66) المجلس الانتقالي الجنوبي يعلن شروطه من الهدنة مع الحوثيين وسهام الشرق تتوسع| اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات https://alyoum8.net/posts/93296:

(67) تنظيم القاعدة ينفّذ هجومًا مركّبًا في أبين.. وقوات الجيش تتصدى وتقتل سبعة من المهاجمين| اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات : https://alyoum8.net/posts/95704

(68) «اليوم الثامن» تقدم دراسة ميدانية.. «سهام الشرق».. دور محوري لـ«الإمارات والانتقالي» في مكافحة الإرهاب: اقرأ المزيد من مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات: https://alyoum8.net/posts/93486

وتسليح عابرة للحدود، تشرف عليها قنوات مالية إيرانية تستغل هشاشة الجغرافيا اليمنية ومنافذها البرية والبحرية

وتُظهر المعلومات الميدانية أن الحوثيين يسيطرون على شمال اليمن، بما في ذلك صنعاء وحجة والساحل الغربي للبحر الأحمر، ما يمنحهم ممراً آمناً لشحنات الأسلحة القادمة من ميناء بندر عباس الإيراني عبر خليج عدن. هذه المسارات نفسها تغذي عمليات القاعدة في الجنوب، عبر خطوط إمداد تتقاطع في محافظات مأرب والبيضاء والجوف

تلك المعطيات تؤكد أن الإرهاب في اليمن لم يعد ظاهرة منفصلة، بل أصبح شبكة مترابطة توظفها أطراف مختلفة لخدمة مصالحها السياسية والإقليمية

إنّ الهجوم على المحفد لم يكن مجرد عملية انتقامية محدودة، بل رسالة مركبة تستهدف زعزعة نموذج الأمن الجنوبي الذي كرّسته عملية سهام الشرق[69]. فالتنظيم يدرك أن الجنوب – بتحالفاته المحلية والإقليمية – بات يشكّل العقبة الأكبر أمام عودة نفوذه، لذلك لجأ إلى استراتيجية التفجيرات عن بُعد والعمليات الانتحارية المركّبة لتعويض خسارته الميدانية

غير أن ردّ القوات الجنوبية جاء منضبطًا وسريعًا، إذ نفذت وحدات الحزام الأمني عملية تمشيط واسعة في مديرية مودية، وأسفرت عن ضبط عناصر من خلايا التنظيم، وتفكيك عبوات متطورة ثبت لاحقًا أنها إيرانية المنشأ

هذا المشهد يثبت أن الحرب على الإرهاب في اليمن لم تعد مجرد مواجهة مع تنظيمٍ واحد، بل أصبحت صراعًا متعدّد الأطراف والمصالح، تتداخل فيه مشاريع الدول والميليشيات والأيديولوجيات

ويعيد الهجوم الإرهابي في المحفد التأكيد على أن النجاح العسكري لا يكتمل دون استراتيجية إقليمية منسقة، تربط بين مكافحة الإرهاب البري وحماية الممرات البحرية في خليج عدن والبحر الأحمر[70].

لقد مثّل هذا الحادث تذكيرًا مؤلمًا بأن النصر على الإرهاب لا يُقاس فقط بتطهير الأرض، بل بقدرة القوى المحلية على الاستمرار في الدفاع عن نموذجها الأمني، في وجه خصومٍ يتغيرون شكلًا ويثبتون جوهرًا

دور الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية من جهود مكافحة الإرهاب

رغم الفاعلية الأمنية الواضحة والنتائج الميدانية الملموسة لجهود مكافحة الإرهاب في الجنوب، فإن الموقفين الأمريكي والسعودي من هذا الملف يثيران الكثير من علامات الاستفهام

فالدعم — سواء السياسي أو اللوجستي — ظل غائبًا تمامًا، على الرغم من أن الولايات المتحدة والسعودية تتصدران التحالف الدولي والإسلامي لمكافحة الإرهاب منذ أكثر من عقدين

هذا الغياب لم يكن محل ملاحظة فحسب، بل محل انتقاد صريح من

(69) تصريح صحفي نشره موقع الصحوة نت الرسمي لجماعة الإخوان المسلمين وفيه قلل المتحدث الرسمي عدنان العديني من جهود المجلس الانتقالي الجنوبي في مكافحة الإرهاب، عقب عملية استهداف قوات اللواء الأول دعم واسناد في بلدة المحفد بأبين

(70) المتحدث باسم المجلس الانتقالي الجنوبي أنور التميمي تحدث إلى مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات

القيادات الجنوبية. إذ أكد اللواء عيدروس الزبيدي، رئيس المجلس الانتقالي الجنوبي[71]، في أكثر من مناسبة على ضرورة دعم المجتمع الدولي لجهود الجنوب في الحرب على الإرهاب

ففي يناير 2022م، أي قبل شهرٍ تقريبًا من إعلان تشكيل مجلس القيادة الرئاسي، نشر الموقع الرسمي للمجلس أن الزبيدي أجرى اتصالًا مع المبعوث الأمريكي إلى اليمن تيم ليندركينغ[72]، دعا خلاله الولايات المتحدة إلى توحيد الموقفين الدولي والإقليمي في مواجهة الحوثيين والتنظيمات الإرهابية

وفي أغسطس 2024م، جدّد الزبيدي الدعوة ذاتها، مطالبًا الولايات المتحدة والمجتمع الدولي بدعم القوات الجنوبية في حربها ضد الإرهاب وتجفيف منابعه،[73] مشددًا على أن التعاون مع القوى المحلية الميدانية هو السبيل الأنجع لتحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة[74].

غير أنّ هذه الدعوات، رغم وضوحها وتكرارها، لم تلقَ أي استجابة من واشنطن أو الرياض، اللتين اكتفيتا بالتصريحات العامة حول «أولوية مكافحة الإرهاب» دون خطوات تنفيذية ملموسة

بل إن المملكة العربية السعودية، التي تتزعم ما يُعرف بـ«التحالف الإسلامي لمحاربة الإرهاب»[75]، لم تُبدِ حتى اليوم أي موقف داعم أو حتى معلن تجاه الجهود الجنوبية، الأمر الذي يثير تساؤلات حول مدى جدّية التحالف في التعامل مع مصادر الخطر الفعلية على الأرض، مقارنة بخطابه السياسي والدبلوماسي

وهكذا، تكشف المفارقة بين النجاح الميداني الجنوبي والغياب الدولي الداعم عن خللٍ في أولويات الحرب على الإرهاب، إذ تُترك القوى المحلية التي تواجه التنظيمات المتطرفة ميدانيًا دون غطاءٍ سياسي أو دعمٍ استراتيجي من القوى الكبرى، التي لطالما تبنّت هذا الملف كعنوانٍ رئيسي لسياستها الإقليمية

مستقبل الحرب على الإرهاب في اليمن بعد عام 2025

تشير المؤشرات الراهنة إلى أن الحرب على الإرهاب في جنوب اليمن تتجه نحو مرحلة جديدة تتجاوز المفهوم العسكري الضيّق إلى مقاربة أمنية–سياسية متعددة الأبعاد، يُتوقّع أن يُعاد فيها تعريف الفاعلين والتحالفات وأدوات المواجهة

ومن المرجّح أن تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى بناء تحالفات استراتيجية مباشرة مع القوى المحلية الفاعلة، بعد أن

(71) موقع المجلس الانتقالي الجنوبي – نشر في ٢٣ يناير ٢٠٢٢ أن الزبيدي في اتصال مع المبعوث الأمريكي تيم ليندركينغ دعا إلى "توحيد الموقف الدولي ضد الإرهاب والحوثيين". هذا يصلح كأقدم طلب موثق للتنسيق الأمني مع واشنطن

(72) President Al-Zubaidi Discusses Peace Efforts and Counterterrorism with US Ambassador
https://en.stcaden.com/posts/11957?utm_source=chatgpt.com: Saturday, August 24, 2024 - southern transitional council

(73) الزبيدي يطالب الولايات المتحدة والمجتمع الدولي بدعم القوات الجنوبية في حربها ضد الإرهاب وتجفيف منابعه – موقع المجلس الانتقالي الجنوبي الرسمي

(74) Southern Transitional CouncilL : Overview of the Southern Transitional Council with details on leadership, history, and affiliated actors.
https://acleddata.com/profile/southern-transitional-council?utm_source=chatgpt.com

(75) التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب هو حلف عسكري إسلامي أُعلن عنه في ٣ ربيع الأول ١٤٣٧ هـ الموافق ١٥ ديسمبر ٢٠١٥ بقيادة المملكة العربية السعودية، يهدف إلى محاربة الإرهاب بجميع أشكاله ومظاهره أيا كان مذهبه وتسميته حسب بيان إعلان التحالف

أثبتت التجارب السابقة محدودية المقاربات التقليدية القائمة على الضربات الجوية والانخراط الاستخباراتي عن بُعد

فبعد عقدين من الاعتماد المفرط على العمليات الجوية وغياب الشراكات المحلية الحقيقية، بدأت ملامح نموذجٍ مختلف تتبلور في الجنوب، حيث أثبتت القوات الجنوبية – من الحزام الأمني والنخبة الحضرمية وقوات العمالقة – قدرتها على احتواء التهديدات الإرهابية ضمن بيئة اجتماعية منسجمة، وبكفاءة تفوق المقاربات المركزية السابقة

ومع ذلك، يبرز تحدٍّ داخلي يتطلب معالجة مؤسسية عاجلة داخل بنية المجلس الانتقالي الجنوبي، إذ تحوّل القرار الأمني في بعض الأحيان إلى أداة سياسية غير مثلى، خصوصًا في ما يتعلق بالتعاطي مع المكونات القبلية في أبين وشبوة

فنجاح الجنوب في بناء منظومة أمنية مستدامة يستلزم الانتقال من مستوى التنسيق إلى مستوى الشراكة الميدانية مع القبائل المحلية، والاستفادة من خبراتها التراكمية التي راكمتها خلال معاركها السابقة ضد التنظيمات الإرهابية التي انتهت بهزيمة القاعدة وطردها من أبين

من المتوقع أن تشهد السنوات القادمة تصاعدًا في الدور الجنوبي المؤسسي في إدارة ملف مكافحة الإرهاب، سواء عبر تعزيز التعاون الأمني مع دول الإقليم (الإمارات، البحرين، مصر) أو من خلال مبادرات مشتركة مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ضمن أطر بحرية جديدة لحماية خليج عدن والبحر العربي

لكن هذا السيناريو يبقى مرهونًا باعترافٍ دولي واقعي بالهياكل الأمنية القائمة في الجنوب كشريك موثوق، لا ككيانات محلية هامشية ضمن سلطة مركزية متآكلة

وحتى يتحقق ذلك، تبرز الحاجة إلى أن يتولى القائد العسكري عبدالرحمن المحرمي – بصفته المسؤول عن جهود مكافحة الإرهاب – إعادة هيكلة القوات المحلية على نحوٍ يضمن تكامل الأدوار ووحدة القرار الأمني في الجنوب

في المقابل، يبقى التهديد الإرهابي متحوّرًا أكثر من كونه متراجعًا؛ إذ يُرجّح أن يتحوّل تنظيم القاعدة في جزيرة العرب إلى شبكات لامركزية صغيرة تتقاطع مصالحها مع ميليشيا الحوثي والجماعات المرتبطة بالإخوان المسلمين

وهذا التحالف غير المعلن، والمدعوم جزئيًا من إيران، قد يسعى إلى إعادة تموضعه في محافظات مأرب والبيضاء والجوف، مستفيدًا من هشاشة السلطة المركزية وضعف التنسيق داخل مجلس القيادة الرئاسي

أما الولايات المتحدة فستبقى أمام مفترق حاسم: إما أن تُعيد صياغة استراتيجيتها في اليمن عبر الانخراط المباشر مع القوى المحلية الجنوبية، أو أن تستمر في نهج "الإدارة عن بُعد"، بما يتيح للتنظيمات الإرهابية إعادة بناء قدراتها في فراغ السلطة شمالًا

وتُعد عملية سهام الشرق نموذجًا ميدانيًا ناجحًا يمكن لواشنطن من خلاله اختبار

فعاليـة "الشراكـة المحليـة" كبديـلٍ عـن الحـروب المفتوحـة

وفي المنظـور الإقليمـي الأوسـع، يتجـه خليـج عـدن والبحـر الأحمـر ليصبحـا مركـز ثقـل في منظومـة الأمـن العالمـي، إذ تتقاطـع عنـدهما خطـوط الملاحـة الدوليـة ومسـارات الطاقـة وشـبكات التهريـب

ومـن هـذا المنطلـق، سـيغدو الجنـوب أحـد أهـم محـاور الأمـن البحـري العـربي، الأمـر الـذي يسـتدعي مقاربـة دوليـة جديـدة تنظـر إليـه باعتبـاره شريـكًا في الاسـتقرار الإقليمـي لا مجـرد سـاحة صراع

إن مسـتقبل الحـرب على الإرهـاب في اليمـن بعـد عـام 2025 لـن يُحـدَّد بميـزان القـوة العسـكرية وحـده، بـل بقـدرة القـوى الإقليميـة والدوليـة على بنـاء شراكات واقعيـة مـع الفاعـلين المحلـيين الفعلـيين

فاليمـن الجديـد لـن يكـون امتـدادًا لصنعـاء القديمـة، بـل خريطـة أمنية-سياسـية تتشـكل مـن الجنـوب، حيـث بـدأت فعليًـا مرحلـة مـا بعـد الحـرب التقليديـة على الإرهـاب

النتائج والتوصيات

أظهـرت الورقـة أن الحـرب الأمريكيـة على الإرهـاب في اليمـن (2000–2025) مـرت بـثلاث مراحـل متباينـة في طبيعتهـا وأدواتهـا ونتائجهـا

المرحلـة الأولى (2000–2011) اتسـمت بسـيطرة الدولـة المركزيـة في صنعـاء على القـرار الأمنـي، لكنهـا مارسـت ازدواجيـة سياسـية واضحـة بين التعـاون الاسـتخباراتي مع واشـنطن ودعـم جماعـات مسـلحة لاسـتخدامها كأوراق ضغـط داخليـة

أمـا المرحلة الثانيـة (2011–2017) فشـهدت توسـع نشـاط تنظيـم القاعـدة جغرافيًـا، نتيجـة انهيـار البنيـة المؤسسـية للدولـة، وتناقـض مواقـف القـوى الإسلاميـة – خصوصًـا حـزب الإصلاح – بين الخطـاب الدينـي الرافـض للضربـات الأمريكيـة والممارسـة السياسـية المسـتفيدة مـن تمـدد التنظيـمات الإرهابيـة

بينـما مثّلـت المرحلـة الثالثـة (2017–2025) نقطـة التحـول الأهـم، إذ بـرز الجنـوب كفاعـل أمنـي مسـتقل قـدّم نموذجًـا ميدانيًـا فعـالًا في مكافحـة الإرهـاب مـن خلال قـوات الحـزام الأمنـي والنخـب والعمالقـة، وصـولًا إلى عمليـة سـهام الشرق التـي أسسـت لمرحلـة جديـدة مـن الشراكـة الأمنيـة المحليـة

تُظهـر نتائـج التحليـل أن النجـاح في مكافحـة الإرهـاب ارتبـط بوجـود قيـادة محليـة متماسـكة وبيئـة مجتمعيـة حاضنـة، بعكـس الـفترات السـابقة التـي اعتمـدت فيهـا واشـنطن على مقاربـة عسـكرية أحاديـة الجانـب عبر الضربـات الجويـة دون تنسـيق مـع القـوى المحليـة

كما تؤكـد الورقـة أن اسـتمرار التجاهـل الـدولي للقـوى الأمنيـة الجنوبيـة يُضعـف فاعليـة الجهـود الإقليميـة، ويمنـح التنظيـمات المتطرفـة فرصًـا لإعـادة التموضـع عبر تحالفـات هجينـة تربـط الحوثـيين والإخـوان والقاعـدة ضمـن شـبكة مصالـح مشتركـة مدعومـة مـن إيـران

استنادًا إلى هذه المعطيات، توصي الورقة:

إعـادة تعريـف المقاربـة الأمريكيـة في اليمـن مـن خلال الانخـراط المبـاشر مـع القـوى

المحليـة الجنوبيـة، بوصفهـا الشريـك الميـداني الأكثر فعاليـة في الحـرب على الإرهـاب

إنشـاء آليـة تنسـيق أمنـي إقليمـي تشـمل الجنـوب اليمنـي، الإمـارات، مصر، والبحريـن، ضمـن منظومـة أمـن البحـر الأحمـر وخليـج عـدن

تبنـي استراتيجيـة "الأمـن المـحلي المتمكـن" القائمـة على دمـج القـوات النظاميـة والقبليـة في إطـار مـؤسسي موحـد لمكافحـة الإرهـاب في أبين وشـبوة وحضرمـوت

ممارسـة ضغـط دولي على الأطـراف المعرقلـة – خصوصًـا جماعـة الإخـوان المسـلمين والحوثـيين – لوقـف دعمهـا غير المبـاشر للتنظـيمات الإرهابيـة عبر المال والـسلاح والإعلام

إشراك الجنـوب في منظومـة الأمـن البحـري الـدولي لحمايـة الممـرات الحيويـة في خليـج عـدن والبحـر العـربي، بوصفـه نقطـة ارتـكاز جغرافيـة واستراتيجيـة للأمـن العالمـي

اعـتماد مقاربـة تنمويـة موازيـة للمقاربـة الأمنيـة، تعيـد بنـاء المناطـق المحـررة وتحـد مـن بيئـة الفقـر والتهميـش التـي يسـتغلها الإرهـاب للتجنيـد والتمـدد

إن نجـاح الحـرب على الإرهـاب في جنـوب اليمـن لـن يتحقـق إلا مـن خلال الانتقـال مـن المركزيـة الأمنيـة إلى الشراكـة المحليـة، ومـن الحـرب المفتوحـة إلى الاسـتدامة الأمنيـة والتنمويـة

وبذلـك، يغـدو الجنـوب اليـوم ليـس مجـرد جبهـة ميدانيـة، بـل نموذجًـا واعـدًا لإعـادة تعريـف العلاقـة بين الفاعـل المـحلي والإقليمـي والـدولي في معركـة الإرهـاب

محمد بن زايد وصياغة نموذج جديد للدبلوماسية العربية.. قراءة في فلسفة القيادة والتأثير

د. شورى فضل

سكرتير مجلة بريم الصادرة عن مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية الدور الريادي الذي اضطلع به صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، في صياغة توجهات السياسة الإقليمية والدولية عبر ما يُعرف بـ«دبلوماسية الصمت» أو «الفعالية الهادئة»، وهي مقاربة تقوم على العمل الهادئ، والتأثير الذكي، وبناء التحالفات على أساس الثقة والمصالح المشتركة

وتحلّل الدراسة أثر هذا النهج على توازنات القوى في الخليج والشرق الأوسط، من خلال المبادرات السياسية والإنسانية التي أطلقتها أبوظبي، واتفاقيات السلام والتطبيع مع إسرائيل، والدور الحاسم الذي لعبته في تعزيز الأمن والاستقرار في مناطق النزاع مثل اليمن وليبيا والسودان وأفريقيا

كما تسعى الورقة إلى إبراز الأدوات التي اعتمدتها الإمارات لترسيخ مكانتها كقوة إقليمية مسؤولة، توظّف مواردها الاقتصادية والسياسية والعسكرية في خدمة التنمية والسلام، وتعزّز شراكاتها الاستراتيجية مع القوى الكبرى بما يحفظ التوازن الإقليمي ويعزز الاستقرار العالمي

وتعرض الدراسة أيضًا كيف أسهمت دبلوماسية الإمارات الحديثة، بقيادة الشيخ محمد بن زايد، في إعادة تعريف مفاهيم القوة والقيادة في المنطقة، من خلال نموذج عملي يجمع بين الحزم والحكمة، ويجعل من «الحضور الإقليمي» أداة فعالة لبناء الاستقرار وتحقيق التنمية المستدامة

تعتمد الورقة منهجًا وصفيًا تحليليًا يستند إلى تقارير رسمية ومراجع أكاديمية حول السياسة الإماراتية الحديثة، بهدف فهم فلسفة القيادة الإماراتية في معالجة الأزمات وصناعة الحضور المتزن الذي يجمع بين الواقعية والرؤية المستقبلية

Abstract

deyaZ nib demmahoM hkiehS ssenhgiH siH fo elor gnireenoip eht serolpxe yduts sihT lanoitanretni dna lanoiger gnipahs ni ,setarimE barA detinU eht fo tnediserP ,nayhaN lA ".ssenevitceffe teiuq" ro "ycamolpid tnelis" sa nwonk eb ot emoc sah tahw hguorht ycilop dna ,tnemegagne evitcurtsnoc ,noitca cigetarts tey teercsid ni dednuorg si hcaorppa sihT .stseretni derahs dna tsurt lautum no desab gnidliub-ecnailla

dna fluG eht ni scimanyd rewop no ledom citamolpid siht fo tcapmi eht sezylana repap ehT -azilamron dna ecaep ,sevitaitini nairatinamuh dna lacitilop morf — tsaE elddiM redaorb eht senoz tcilfnoc ni ytilibats ot noitubirtnoc evisiced s'EAU eht ot ,learsI htiw stnemeerga noit .acirfA fo strap dna ,naduS ,aybiL ,nemeY sa hcus

taht rewop lanoiger elbisnopser a sa flesti dehsilbatse sah ibahD ubA woh sthgilhgih tI -dliubecaep ,tnempoleved drawot seitilibapac yratilim dna ,lacitilop ,cimonoce sti slennahc hkiehS ,noisiv mret-gnol dna pihsredael citamgarp hguorhT .noitarepooc labolg dna ,gni

eht denifeder sah deyaZ nib demmahoM barA eht ni ycamolpid dna rewop fo tpecnoc secnalab taht ledom a gnicnavda ,dlrow htiw ecneulfni dna ,modsiw htiw ssenmrif .ytilibats

lacitylana-evitpircsed a stpoda yduts ehT stroper laiciffo nopu gniward ,ygolodohtem yraropmetnoc no secruos cimedaca dna -dnatsrednu fo mia eht htiw ,scitilop itarimE ni pihsredael itarimE fo yhposolihp eht gni ,decnalab a gnitavitluc dna sesirc gniganam .ecneulfni labolg detneiro-erutuf

المقدّمـــة

تشـهد المنطقـة العربيـة منـذ العقديـن الأخيريـن تحـولات جذريـة في موازيـن القـوى السياسـية والاقتصاديـة، وقـد كان لدولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة فيهـا دور بـارز ومؤثـر، حيـث بـرز اسـم الشـيخ محمـد بـن زايـد آل نهيـان كأحـد أهـم صانعـي القـرار في الشرق الأوسـط، بفضـل رؤيتـه الاستراتيجيـة التـي جمعـت بين الواقعيـة السياسـية والقـوة الناعمـة[1] حيـث يُمثـل صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن زايـد آل نهيـان، رئيـس دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة، محـوراً استراتيجيـاً في المشـهد الجيوسـياسي المعـاصر

لقـد رسـخت الإمـارات، تحـت قيادتـه، مكانتها كقـوة إقليميـة محوريـة وفاعـل عالمي مؤثـر، مما دفـع محلـلين دولـيين لوصفـه بـ «القائـد الأكثر تـأثيراً في الشرق الأوسـط»[2]. يقـوم نهجـه في السياسـة الخارجيـة على مـا يُعـرف بـ «دبلوماسـية الصمـت»، وهـي استراتيجيـة تجمـع بين الواقعيـة البراغماتيـة والعمـل الحاسـم، مفضلـة النتائـج الملموسـة على الخطـاب السـياسي الصاخـب.

هـذه الدبلوماسـية الهادئـة والفعالـة لم تـغير

(1) -العوضي، علي. السياسة الخارجية الإماراتية: من التوازن إلى الحضور الإقليمي، مركز الإمارات للدراسات، 2022م).

(2) - الشرق الأوسط (٢٠٢٣) URL: https://www.alghad.tv

فقط مسار الإمارات، بل أعادت رسم جزء كبير من خريطة التحالفات والمصالح في المنطقة

تتمثل خصوصية «دبلوماسية الصمت» في أنها لا تعتمد على التصريحات الإعلامية أو المواقف العلنية، بل على التحرك العملي الهادئ الذي يبني الحضور من خلال العلاقات، والاستثمار، والمساعدات الإنسانية، والوساطات الإقليمية ([3]).

كما تهدف هذه الورقة إلى تحليل أبعاد هذا النهج السياسي وتقييم نتائجه الإقليمية، خصوصًا في ظل التحديات الجيوسياسية التي يشهدها الشرق الأوسط منذ عام 2011 ([4])

مشكلة الورقة

تسعى الورقة إلى فهم وتحليل التحوّل في الدور الإقليمي لدولة الإمارات العربية المتحدة تحت قيادة الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، من سياسة خارجية تقليدية قائمة على المساعدات والدبلوماسية الاقتصادية، إلى نهج جديد يعتمد على "الدبلوماسية الفاعلة الهادئة" أو "دبلوماسية الصمت" التي تمكّنت من التأثير في مسارات الأزمات العربية دون ضجيج إعلامي أو تدخل مباشر، وذلك من خلال توضيح كيف استطاعت أبوظبي، عبر دبلوماسية الصمت والنهج الهادئ، إعادة صياغة توازنات القوة في الشرق الأوسط، خصوصًا في القضايا العربية مثل صفقة غزة، ليبيا، السودان، واليمن، مع المحافظة على علاقات متوازنة مع السعودية وغيرها من القوى الإقليمية، بمعنى آخر، مشكلة الدراسة تتمحور حول تحليل أدوات القوة الإماراتية الجديدة التي جمعت بين الواقعية السياسية والبراغماتية الدبلوماسية، واستطاعت من خلالها تحقيق علاقة استراتيجية وسياسية، وحافظت على سياسة منخفضة الصوت إعلاميًا لكنها فعالة ميدانيًا

كما تسعى الدراسة إلى فهم الفروق الدقيقة بين النهج الإماراتي القائم على "الدبلوماسية الفاعلة الهادئة" والنهج السعودي القائم على "الحذر الدبلوماسي"، لتحديد ما إذا كان هذا التحول يعكس تغيّرًا في فلسفة القيادة الخليجية أم تطورًا في بنية النظام العربي بعد 2011م

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف التحليلية والعلمية، أبرزها

1- تحليل التحول في السياسة الخارجية الإماراتية وذلك من خلال تتبّع تطور الدور الإماراتي منذ تولي الشيخ محمد بن زايد موقع القيادة الفعلية في صنع القرار الخارجي

(3) درويش، حنان. القوة الناعمة في السياسة الخارجية لدولة الإمارات، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢١٩، ٢٠٢٣م.

3-المحمود، سعيد. الشرق الأوسط بعد الربيع العربي: أدوار القوى الإقليمية الجديدة، دار الفكر العربي، 2021م.

(4)

2- توضيح مفهوم "دبلوماسية الصمت" وكيف تُترجم عمليًا في الملفات العربية (غزة، ليبيا، اليمن، السودان، سوريا)

3- تفسير آليات «الدبلوماسية الفاعلة الهادئة» والمتمثل في الكشف عن الأدوات التي تعتمدها أبوظبي في ممارسة الحضور، مثل المساعدات الإنسانية، الاستثمار الاقتصادي، الدبلوماسية الثقافية، التحالفات المرنة، والدور الإغاثي، وتحليل كيفية توظيف هذه الأدوات في تحقيق الأهداف السياسية دون تدخل مباشر أو استخدام صريح للقوة

4- دراسة الدور الإماراتي في صفقة غزة والتوازن الإقليمي وتحليل الدور الذي لعبته أبوظبي في إنجاح بعض التفاهمات أو الاتصالات غير المعلنة المرتبطة بـ الملف الفلسطيني، وتفسير كيف ساهم هذا الدور في تعزيز موقع الإمارات كقوة وساطة وفاعلة في التوازن الإقليمي

5- إجراء مقارنة استراتيجية مع السياسة السعودية وذلك من خلال دراسة أوجه التشابه والاختلاف

6- تقييم مدى تأثير هذا التباين على منظومة العمل العربي المشترك والتوازن داخل مجلس التعاون الخليجي وكذلك تقييم النتائج والانعكاسات الإقليمية وذلك بقياس مدى نجاح دبلوماسية أبوظبي في تعزيز مكانة الإمارات كفاعل عربي مؤثر

7-استشراف مستقبل الحضور الإماراتي في ظل التحولات الإقليمية بعد اتفاقات التطبيع، وأزمات غزة والسودان، وتراجع بعض القوى التقليدية

أهمية الدراسة

1. إبراز نموذج جديد في معالجة السياسة الخارجية قائم على الدبلوماسية الهادئة بدل المواجهة الصريحة

2. المساهمة في إثراء الدراسات العربية حول السياسة الإماراتية المعاصرة

3. توضيح دور القيادة الإماراتية في تحقيق الاستقرار الإقليمي عبر الحوار والوساطة

4. تقديم تحليل أكاديمي يمكن أن يُفيد الباحثين وصنّاع القرار في فهم مفهوم الدبلوماسية الفاعلة الهادئة

أسئلة الدراسة

السؤال الرئيس

كيف قادت أبوظبي سياسة «الدبلوماسية الفاعلة الهادئة» أو «دبلوماسية الصمت» في الملفات العربية، وما أثر ذلك على موازين القوة الإقليمية وعلى علاقتها بالسعودية والدول العربية الأخرى؟

الأسئلة الفرعية:

1- ما المقصود بمفهوم «دبلوماسية الصمت» في السياق الإماراتي؟

2-كيف استطاع الشيخ محمد بن زايد توظيف هذا النهج في خدمة المصالح الوطنية والإقليمية؟

3- ما أثر دبلوماسية الصمت على علاقات الإمارات مع القوى الإقليمية والدولية؟

4- ما حدود القوة الناعمة الإماراتية في ضوء التحديات السياسية في المنطقة؟

5- كيف ساهمت هذه السياسة في إعادة تشكيل خريطة الشرق الأوسط؟

6- ما أوجه الاختلاف والتشابه بين السياسة الإماراتية الهادئة والسياسة السعودية الحذرة في القضايا الإقليمية؟

7- كيف انعكست "دبلوماسية الصمت" على الدور الإماراتي في ملفات مثل غزة، اليمن، ليبيا، السودان، وسوريا؟

منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال

- جمع وتحليل البيانات من تقارير رسمية ومصادر أكاديمية

- تحليل الخطاب السياسي الإماراتي ومقارنته بنماذج الدبلوماسية التقليدية، باستخدام المنهج المقارن عند تحليل الفروق بين النهج الإماراتي الهادئ والسياسة السعودية الحذرة

- توظيف منهج دراسة الحالة (Case Study) عبر تحليل نماذج مثل اتفاقيات أبراهام، ودور الإمارات في أزمات اليمن وليبيا

حدود الدراسة

-**الحدود الموضوعية:** تركز على تحليل مفهوم وديناميات "الدبلوماسية الفاعلة الهادئة" الإماراتي وليس على السياسات العسكرية المباشرة

-**الحدود الزمانية:** 2015–2025م، وهي مرحلة تبلور الدور الإماراتي في الملفات الإقليمية

-**الحدود المكانية:** الدول العربية التي شملتها الدبلوماسية الإماراتية الهادئة

الإطار النظري:

المحور الأول: مفهوم «دبلوماسية الصمت التي غيرت خريطة الشرق الأوسط»

أولا: دبلوماسية الصمت: ليست تعبيراً عن الحياد أو الانعزال، بل هي آلية متقدمة لإدارة الحضور تعتمد على التخطيط طويل الأمد والتحرك المدروس. وتستند هذه الدبلوماسية إلى **أربعة أركان أساسية**

1-البراغماتية والابتعاد عن الأيديولوجيا

تتميز السياسة الإماراتية بالتركيز المطلق على المصالح الوطنية العليا، والابتعاد عن الانخراط في الصراعات الأيديولوجية أو الطائفية. هذا النهج البراغماتي يسمح للإمارات بالتحرك بمرونة فائقة، وتغيير تحالفاتها أو إعادة تقييمها بناءً على المتغيرات الجيوسياسية والاقتصادية. وقد تجلى ذلك في

استراتيجية «تصفير المشاكل» التي قادت إلى تطبيع العلاقات مع قوى إقليمية رئيسية مثل تركيا وإيران، بعد فترات من التوتر ([5])

2-الشراكات المتوازنة: فن الموازنة بين القوى العظمى

تُعد قدرة الإمارات على الموازنة بين القوى العظمى المتنافسة، وتحديداً الولايات المتحدة والصين وروسيا، إحدى أبرز سمات هذه الدبلوماسية. فبينما تظل الولايات المتحدة شريكاً أمنياً استراتيجياً، أصبحت الصين الشريك التجاري الأول للإمارات، مع ارتفاع التبادل التجاري غير النفطي إلى مستويات قياسية((6)). هذا التوازن يمنح الإمارات استقلالية في اتخاذ القرار ويحمي مصالحها من ضغوط الاستقطاب الدولي

الشريك العالمي	طبيعة العلاقة	الهدف الاستراتيجي
الولايات المتحدة	شراكة أمنية واستخباراتية عميقة	ضمان الامن الاقليمي والحماية ا لعسكر ية
الصين	الشريك التجاري الاول، شراكة في التكنولوجيا والبنية التحتية (مثل مجموعة جي ٤٢)	تعزيز النمو الاقتصادي والتفوق ا لتكنولوجي
روسيا	علاقات متنامية ودور وساطة في قضايا إقليمية ودولية	تنويع التحالفات وتأكيد الدور الدبلوماسي العالمي

3- القوة الناعمة والدبلوماسية الإنسانية

تُعد الدبلوماسية الإنسانية ركيزة أساسية في الاستراتيجية الإماراتية لبناء الحضور الدولي وتعزيز القوة الناعمة، إذ ترتكز على توظيف المساعدات الإنمائية والاستثمارات الضخمة كأدواتٍ فعّالة لترسيخ الصورة الإيجابية للدولة، وبناء جسور الثقة والتعاون مع الشعوب والحكومات

وقد انعكس هذا التوجه بوضوح في المبادرات الإنسانية والتنموية التي تقودها الإمارات في مختلف مناطق العالم، وفي استضافتها لمؤتمر الأطراف الثامن والعشرين لتغير المناخ (COP28) في دبي عام 2023، الذي مثّل محطة عالمية بارزة أكدت من خلالها الدولة قدرتها على قيادة الحوار الدولي حول المناخ والتنمية المستدامة، وترسيخ نموذجها كـ قوة ناعمة تجمع بين التنمية والابتكار والمسؤولية العالمية. (([7])

(5) - محمد بن زايد ... نموذج عالمي للقيادة. (٢٠٢٢: [https://rawabetcenter.com/archives/146042]

(6) - مجموعة «جي ٤٢» والمثلث الصيني الإماراتي الأمريكي. (٢٠٢٤):. https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/mjmwt-jy-42-walmthlth-alamaraty-alamryky

(7) - محمد بن زايد.. صانع السلام ورائد الدبلوماسية الإنسانية. (٢٠٢٥). [https://www.albayan.ae/news/uae/uae-and-russia/317544

4- الاستباقية الأمنية والعسكرية الحازمة

في المقابل، لا تتردد «دبلوماسية الصمت» في توظيف القدرات أو أدوات الردع عند الضرورة لحماية المصالح الحيوية. هذا الاستخدام للقوة يتسم بـ الحسم والهدوء الإعلامي، حيث يتم التركيز على تحقيق الأهداف الاستراتيجية المحددة دون ضجيج سياسي مبالغ فيه

ثانيا: محطات التغيير في خريطة الشرق الأوسط والإقليمي الكبرى

لقد أدت هذه الدبلوماسية الهادئة إلى تغييرات ملموسة في المشهد الإقليمي، أبرزها:

1- اتفاقيات إبراهيم: كسر الجمود التاريخي

تُعد اتفاقيات إبراهيم (2020) لتطبيع العلاقات مع إسرائيل النقطة الأكثر تحولاً في السياسة الخارجية الإماراتية. لقد قاد الشيخ محمد بن زايد هذه الخطوة التي مثلت كسراً لتابو سياسي دام عقوداً، وأعادت تشكيل ميزان القوى في المنطقة. وقد تم تقديم الاتفاق كأداة دبلوماسية استباقية تهدف إلى تحقيق مصالح استراتيجية، من ضمنها وقف الضم الإسرائيلي المعلن لأجزاء من الضفة الغربية[8]. هذا التحرك رسخ مكانة الإمارات كقوة قادرة على اتخاذ قرارات مصيرية تتجاوز الإجماع العربي التقليدي

2- المشاركة العسكرية في اليمن.. الاستخدام الاستراتيجي للقوة

جسدت المشاركة العسكرية الإماراتية في اليمن نموذجاً للاستخدام المدروس للقوة. لم يكن الهدف المعلن هو الانخراط في حرب طويلة، بل تأمين المصالح الاستراتيجية ومكافحة التهديدات الإرهابية (القاعدة والحوثيين) واحتواء النفوذ الإيراني. وبعد تحقيق الأهداف المتمثلة في ترسيخ الأمن والاستقرار في الموانئ والمناطق الحيوية، قامت الإمارات بـ إعادة انتشار استراتيجي لقواتها، مع الإبقاء تقديم دعم لقوى محلية ([9])

هذا الانسحاب الحكيم أظهر أن «دبلوماسية الصمت» تتبنى استراتيجية القتال لتحقيق الأهداف، لا القتال من أجل القتال

3- دور الوساطة الإقليمية والدولية

في السنوات الأخيرة، برزت الإمارات كـ وسيط موثوق في العديد من النزاعات. هذا الدور الجديد يعكس الثقة الدولية في حيادها وقدرتها على التواصل مع جميع الأطراف. من أبرز الأمثلة

- **الوساطة بين روسيا وأمريكا:** لعبت الإمارات دوراً حاسماً في تسهيل عمليات تبادل الأسرى بين البلدين.

(8) - اتفاق تطبيع العلاقات بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة. (ويكيبيديا) https://ar.wikipedia.org/wiki

(9) - الإمارات وأهدافها من الحرب في اليمن. (٢٠١٧).: https://carnegieendowment.org/sada/2017/10/the-uaes-war-aims-in-ye-men?lang=ar

- **الجهود الدبلوماسية في الصراع الروسي-الأوكراني:** سعت الإمارات للتوسط وتشجيع المحادثات الدبلوماسية، مما يؤكد دورها كلاعب عالمي يسعى للاستقرار([10])

المحور الثاني: الدور الإماراتي الحاسم في إنجاح صفقة غزة والتوازن الإقليمي

شهدت المنطقة تحولات جيوسياسية عميقة تزامنت مع التوترات المتصاعدة في قطاع غزة، مما وضع الدول الإقليمية أمام تحديات جمة لمعالجة الأزمة والمساهمة في تحقيق الاستقرار. في هذا السياق، برز الدور الذي لعبته دولة الإمارات العربية المتحدة كعامل حاسم ومحوري، لا يقتصر على تقديم الدعم الإنساني فحسب، بل يمتد ليشمل جهودًا دبلوماسية وسياسية مكثفة تهدف إلى إنجاح صفقات وقف إطلاق النار والمساهمة في رسم ملامح التوازن الإقليمي الجديد ([11])

أولاً: الإطار الاستراتيجي — دوافع أبوظبي للمبادرة والوساطة والتنسيق متعدد الأطراف (الولايات المتحدة — مصر — قطر)

ترى الإمارات في حلّ أزمة غزة مصلحة استراتيجية مباشرة: كحفظ الاستقرار الإقليمي، حماية المصالح الاقتصادية والدبلوماسية المكتسبة عبر اتفاقات التطبيع (Abraham Accords)، وتقليص مخاطر تصعيد يهدد الاستثمارات والأمن الإقليمي. كما أن نجاح وساطة يمنحها نفوذاً سياسياً ودبلوماسياً أكبر بين واشنطن والفاعلين الإقليميّين ([12]). ولهذا فان الإمارات لم تعمل بمعزل؛ بل شَكلت شبكة تنسيق إقليمية ودولية — غالباً بالتعاون أو التوازي مع مصر وقطر والولايات المتحدة — لتسهيل تفاهمات حول هدنة/تبادل أسرى ودخول مساعدات. هذا الأسلوب سمح بتجميع ضغوط ومكافآت مختلفة لتأمين توافق أطراف متعارضة. وقد تمثلت آلية العمل في عقد لقاءات ثنائية/ثلاثية، تبادل معلومات لوجستية وإنسانية، ووسائل ضغط دبلوماسي (وساطة لدى إسرائيل وحملات إغاثة) لإقناع الأطراف بالموافقة ([13])، وذلك من خلال استخدام «اتفاقات إبراهيم» كأداة نفوذ وشرعية للتقارب مع إسرائيل

كما ان التطبيع مع إسرائيل منح الإمارات قناة رسمية يمكنها من خلالها ممارسة نفوذ مباشر (محادثات دبلوماسية/

(10) - قوة الكلمة: كيف أعادت الإمارات تعريف الوساطة الدولية؟. (٢٠٢٤). https://www.habtoorresearch.com/ar/programmes

(11) - العين الإخبارية. (٢٠٢٥، ٩ أكتوبر). اتفاق غزة.. محطات إماراتية بارزة على طريق تحقيق السلام. **https://al-ain.com/article/gaza-agreement-emirati-milestones-achieving-peace**

(12) - تقرير إخباري عن محادثات الإمارات مع الولايات المتحدة وإسرائيل بشأن الحِكم المؤقت وإعادة الإعمار؛ وتحليلات عن وضع الاتفاقات العربية-الإسرائيلية وتأثيرها

(13) - أوراق وتقارير تحليلية عن دور دول الخليج في المفاوضات وآليات الوساطة؛ وإعلانات رسمية ترحّب بالاتفاقات/الهدن.

اقتصادية) مع صناع القرار الإسرائيليين، ما سهّل تقديم حوافز أو حلول تقنية/لوجستية مرتبطة بصفقة. كذلك كان الترويج لكون الحل «مدني-إنساني» مفيداً لإبراز الجدوى السياسية للتطبيع، وتمثل ذلك في استثمار العلاقات الثنائية (قنوات دبلوماسية، اتصالات على مستوى عالٍ) لدفع تفاهمات إنسانية وسياسية ([14])

كما تعهدت الإمارات بتمويل أجزاء من الإغاثة أو خطط إعادة الإعمار وقد استخدم كحافز لإقناع أطراف دولية وإقليمية بدعم أو قبول تفاهمات مؤقتة في غزة، خصوصاً أن إعادة الإعمار تحتاج موارد وسرعة تنفيذ، تقديم وعود تمويلية، تنسيق دخول مساعدات، وإعلان مبادرات لإعادة الإعمار كجزء من حزمة تفاهمات ما بعد وقف إطلاق النار([15])

أما في جانب الامن والحوكمة والجانب الإداري فالإمارات ساندت (أو دعمت أفكاراً حول) تشكيل إدارة مؤقتة أو إصلاحات في السلطة الفلسطينية بعد انتهاء القتال، وذلك من خلال محادثات حول أشكال الإدارة المؤقتة، دعم تقني-مالي لإصلاحات مؤسساتية، وإمكانية إشراف دولي-إقليمي على إعادة الإعمار. واظهرت اهتماماً بأسماء/شخصيات مُحتمَلة (مثل عناصر تكنوقراطية أو قيادات محسوبة) يمكن أن تؤمن استقراراً مؤقتاً. هذا الجانب أثار أيضاً قلقاً لدى فاعلين فلسطينيين وبعض الدول إقليمية بشأن سيادة القرار الفلسطيني ([16])

وفي جانب البُعد الإقليمي والتوازن ومواجهة النفوذ الإيراني وإعادة تشكيل التحالفات نجحت وساطة إماراتية عززت مكانة أبوظبي كقوة توازن في مواجهة مدّ تأثير إيران في المنطقة، وهذا يمنحها قدرة أكبر على تشكيل تراكيب إقليمية جديدة (تعاون أمني، علاقات مع إسرائيل والولايات المتحدة، ونافذة للتواصل مع دول عربية أخرى)، وكذلك تواصل دبلوماسي نشط مع دول الخليج/محيط إقليمي، مبادرات أمنية واقتصادية لتعزيز شبكة تحالفات جديدة تقلل من الاعتماد على قوى تقليدية أخرى ([17])

مارست الامارات أدوات عديدة في معالجة الصراع وكان أبرزها «الحضور الصامت» كقنوات خلفية، مبادرات ثنائية، واستخدام شبكة علاقات عالمية كل ذلك يمكن ان نطلق علية غالباً نفوذاً «خلف الكواليس» (quiet diplomacy) وقد ظهرفي عدة صور كعرض موارد مالية، اتصالات استخباراتية/دبلوماسية، وتقديم مبادرات إنسانية، بدلاً من قيادة علنية وصاخبة. هذا الأسلوب

(14) - تحليل علاقات الإمارات-إسرائيل وتأثيرها على قدرة الإمارات على الوساطة والسياسات الإقليمية.
(15) - بيانات حكومية وأخبار عن جهود دبلوماسية إماراتية لرفع الحصار/دخول الإغاثة وإنشاء مبادرات إعادة إعمار.
(16) - تقارير إخبارية وتحليلية تناولت مبادرات إماراتية/إقليمية لمرحلة ما بعد الحرب ومناقشة أسماء/مقاربات للحكم المؤقت.
(17) - تحليلات عن سياسة الخليج والدور الإماراتي في إدارة تبعات الحرب ومحاولة خلق توازن إقليمي.

يمنح مرونة لكنه محدود إذا واجه رفضاً سياسياً أو تقلبات داخلية لدى الأطراف([18])

ثانياً: الدور الدبلوماسي والسياسي في إنجاح صفقة غزة :

اتسم الدور الإماراتي في الأزمة الأخيرة بالفاعلية والمسؤولية، حيث لم تكتفِ أبوظبي بالمراقبة، بل انخرطت مباشرة في جهود الوساطة والدعم السياسي لتثبيت اتفاق وقف إطلاق النار من خلال

1. دعم جهود الوساطة وتثبيت الاتفاق :

رحبت وزارة الخارجية الإماراتية بـ «إطار وقف إطلاق النار» في غزة، معتبرة إياه تتويجاً لجهود متواصلة تهدف إلى تحقيق السلام الدائم والعادل وقد تجسد هذا الدور في

- **الدعم السياسي**: ثمنت الإمارات الجهود الكبيرة التي بذلتها الولايات المتحدة الأمريكية، والمساعي الدؤوبة التي قامت بها كل من دولة قطر وجمهورية مصر العربية والجمهورية التركية لتيسير التفاهمات التي أفضت إلى الاتفاق([19]).

- **تثبيت الهدنة**: انخرطت قيادات إماراتية رفيعة المستوى في مباحثات مكثفة مع مسؤولين أمريكيين (مثل لقاءات الشيخ طحنون بن زايد مع جاريد كوشنر وويتكوف) بهدف **تثبيت اتفاق وقف إطلاق النار** ومنع أي تصعيد قد يهدد الاستقرار الهش ([20])، تؤكد هذه اللقاءات على الدور الإماراتي كحلقة وصل موثوقة بين الأطراف الإقليمية والدولية الفاعلة

- **الحضور في المحافل الدولية :** استغلت2 الإمارات عضويتها غير الدائمة في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لتعزيز الموقف الفلسطيني والدفع نحو حل سياسي شامل. ففي خضم الأزمة، قامت الإمارات بصياغة مشروع قرار يدعو إسرائيل إلى وقف توسيع المستوطنات في الأراضي الفلسطينية، مؤكدة على ضرورة الالتزام بالقانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية([21]).

ثالثا: المساهمة الإنسانية والإغاثية

1- حجم المساعدات ونطاقها :

أطلقت دولة الإمارات عملية «الفارس الشهم 3» الإغاثية، التي شكلت أكبر مبادرة إغاثية إماراتية في فلسطين. وقد أظهرت التقارير الأممية حجم هذا الدور في تقارير أممية (مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية - أوتشا) حجم المساعدات الإماراتية بـ 44% من إجمالي المساعدات

---

(18) - مقالات تحليلية وصحفية عن أسلوب «الحضور الهادئ» الإماراتي وتطبيقاته في نزاعات إقليمية.

(19) - وزارة الخارجية الإماراتية. (٢٠٢٥، ٩ أكتوبر). الإمارات تُرحب بالاتفاق على المرحلة الأولى من إطار وقف إطلاق النار في غزة. https://www.mofa.gov.ae/ar-ae/MediaHub/News/2025/10/9/9-10-2025-UAE-UAE

(20) - وكالة الأناضول. (تاريخ حديث). ويتكوف وكوشنر يبحثان بالإمارات جهود تثبيت اتفاق غزة https://www.aa.com.tr/ar

(21) - أمواج ميديا. (٢٠٢٣، ٣٠ أكتوبر). بعد ثلاث سنوات من اتفاقيات إبراهيم، حرب غزة تضع الإمارات.... https://amwaj.media/ar/article/three-years-after-abraham-accords-gaza-war-corners-uae

الدوليـة المقدمـة لغـزة([22]).

كما أشـارت مصـادر رسـمية إلى أن قيمـة المسـاعدات العاجلـة المرسـلة تجـاوزت 1.8 مليـار دولار، وأن إجمالي الإمـدادات الإغاثيـة التـي دخلـت القطـاع عبر الجسـور الجويـة والبحريـة والبريـة تجـاوز 10 آلاف طـن ([23])

نوع المساعده	التفاصيل	المؤشر الكمي
المساعدات الاجمالية	مساهمة الامارات في اجمالي المساعدات الدولية لغزة	% 44
القيمة المالية	قيمة المساعدات العاجلة المرسلة	1.8 مليار دولار
المساعدات النقدية	اجمالي وزن الامدادات الغذائية (غذاء، دواء وايواء)	اكثر من ١٠ طن
البنية التحية	دعم وتشغيل محطات تحلية المياه	6 محطات

2- المشاريع الحيوية:

لم تقـتصر المسـاعدات على الإمـدادات، بـل شـملت مشـاريع حيويـة ذات تـأثير مبـاشر على حيـاة السـكان

- **المستشـفى الميـداني الإمـاراتي:** تـم إنشـاء المستشـفى الميـداني في غـزة لتقديـم الرعايـة الطبيـة العاجلـة. وقـد اسـتقبل المستشـفى منـذ افتتاحـه أكثر مـن 48,700 حالـة مرضيـة، وأجـرى عمليات جراحيـة معقـدة، مما خفـف العـبء الهائـل عـن المنظومـة الصحيـة المنهـارة في القطـاع([24]).

- **دعـم النـازحين:** تركـز عمليـة «الفـارس الشـهم 3» على تـوفير الاحتياجـات الأساسـية للنـازحين، بمـا في ذلـك طـرود الإيـواء والصحـة للأمهـات والأطفـال، في المناطـق الأكثر تضرراً

رابعا: الدور الإماراتي والتوازن الإقليمي الجديد

يُقـدم الـدور الإمـاراتي في أزمـة غـزة نموذجـاً لدبلوماسـية التـوازن التـي تسـعى إلى الحفـاظ على مكتسـبات الـسلام الإقليمـي (اتفاقيـات إبراهيـم) مـع التمسـك بالثوابـت المتعلقـة بالقضيـة الفلسـطينية

- **التمسـك بحـل الدولـتين :** جـددت الإمـارات التزامهـا الثابـت بدعـم مبـدأ «حـل الدولـتين»، معـتبرة إيـاه المطلـب الأسـاسي لتحقيـق حـل «دائـم وعـادل وشـامل» لـلصراع([25]) ويُظهـر هـذا الموقـف سـعي الإمـارات لربـط الـسلام الإقليمـي الشـامل بالعدالـة للقضيـة الفلسـطينية، مما يمثـل ضغطـاً على الشريـك الإسرائـيلي في اتفاقيـات إبراهيـم.

- «**الضـم خـط أحمـر**» : اسـتخدمت الإمـارات علاقاتهـا الدبلوماسـية مـع إسرائيـل كأداة

(22) - سكاي نيوز عربية. (٢٠٢٥، ١٢ أكتوبر). تقارير أممية: الإمارات تقدم ٤٤٪ من مساعدات غزة. https://www.skynewsarabia.com/live-sto-ry/1659732/62959

(23) - العين الإخبارية. (٢٠٢٥، ١ أغسطس). الإمارات الأكثر دعما لغزة بـ١,٥ مليار دولار جسور عطاء ممتدة. https://al-ain.com/article/the-uae-most-supportive-country-gaza

(24) - وكالة أنباء الإمارات (وام). (تاريخ حديث). المستشفى الميداني الإماراتي يقدم خدماته الطبية لـ ٤٨٧٠٠ حالة

(25) - وكالة الأناضول. (٢٠٢٥، ٢٨ سبتمبر). نيويورك.. الإمارات تجدد دعمها «حل الدولتين» للقضية الفلسطينية. https://www.aa.com.tr/ar

للضغط، حيث أكدت بوضوح أن أي محاولة لضم الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية أو أي جزء من الأراضي المحتلة **هو «خط أحمر»** ([26]). وقد ساهم هذا الموقف الحازم في لجم التوسع الاستيطاني وتأكيد عدم تخلّي الإمارات عن القضية الفلسطينية مقابل التطبيع

البعد الاقليمي	الموقف الاماراتي	الاثر على التوازن الاقليمي
القضية الفلسطينية	تجديد الدعم لحل الدولتين ووقف الاستيطان	يوازن بين متطلبات اتفاقيات ابراهيم والتوابت العربيه
الاستقرار الاقليمي	دعم جهود وقف اطلاق النار وتثبيتة	يعزز دور الامارات كشريك موثوق في معالجة الازمات الاقليمية
المساعدات الانسانية	تصدر قائمة الدول المقدمة للمساعدات ٤٤٪	يؤكد على الدور الانساني كأولوية قصوى، ويعزز مكانة الامارات كقوة إغاثية عالمية

المحور الثالث: سياسة «الدبلوماسية الفاعلة الهادئة» لأبوظبي في الملفات العربية

أولا سياسة الدبلوماسية الفاعلة الهادئة: تعني استخدام أدوات غير عسكرية تقليدية (كالاستثمار، الثقافة، الإعلام، الدعم بالخلف عبر وكلاء محليين، والوساطات الدبلوماسية) لتحقيق تأثير سياسي واستراتيجي في دول عربية — مع تجنّب الإعلان عن احتلال أو وجود عسكري مكشوف لعقود طويلة. أبوظبي تجمع بين رأس المال والمرونة السياسية لبناء شبكات نفوذ محلية وإقليمية من دون دائماً إظهار حضورها، ويمكن أن تتركز سياسة الدبلوماسية الفاعلة الهادئة في النقاط التالية

1- الدبلوماسية الثقافية والتنموية كأداة للنفوذ الهادئ

اعتمدت دولة الإمارات العربية المتحدة، ولا سيما أبوظبي، منذ عام 2015 على الدبلوماسية الثقافية والتنموية بوصفها أداة رئيسية من أدوات سياستها الخارجية القائمة على "الدبلوماسية الفاعلة الهادئة". هذه السياسة تقوم على استخدام الثقافة، والتعليم، والمساعدات الإنسانية، والمشروعات التنموية لتعزيز حضور الإمارات ونفوذها الإقليمي بطريقة ناعمة وغير صدامية، فقد سعت أبوظبي إلى بناء صورة دولية تقوم على قيم التسامح، والانفتاح، والاعتدال، مع التركيز على إبراز "النموذج الإماراتي" كقوة استقرار في محيط عربي يعاني من النزاعات والاضطرابات. ومن أبرز مظاهر هذه الدبلوماسية الثقافية مشروع متحف اللوفر أبوظبي الذي افتتح عام 2017، والذي شكّل علامة فارقة في ترسيخ

(26) -- كاي نيوز عربية. (تاريخ حديث). تحذيرات الإمارات لإسرائيل.. دبلوماسية حازمة أم إنذار مبكر؟

صـورة الإمـارات كمركـز ثقـافي عالمـي يجمـع بين الشرق والغـرب

كما اسـتخدمت أبوظبـي مؤسسـاتها الإنسـانية مثـل مؤسسـة خليفـة بـن زايـد للأعمال الإنسـانية ومؤسسـة زايـد للأعمال الخيريـة لتعزيـز نفوذهـا في دول عربيـة تعـاني مـن أزمـات إنسـانية، كاليمـن وسـوريا والسـودان. فالمسـاعدات الإماراتيـة هنـاك لم تكـن مجـرد أعمال خيريـة، بـل أداة سياسـية ناعمـة تُظهـر الدولـة كفاعـل مسـؤول، وتفتـح في الوقـت ذاتـه قنـوات تـأثير غير مبـاشرة في تلـك المجتمعـات.، ومـن خلال هـذا التوجّـه، نجحـت الإمـارات في تعزيـز صورتهـا كقوة سلام واسـتقرار، واكتسـبت شرعيـة إقليميـة ودوليـة مكّنتهـا مـن التـأثير في السياسـات العربيـة دون اللجـوء إلى أسـاليب الضغـط أو التدخـل الصريـح.[27][28][29]

2- الحضـور الاقتصـادي والاسـتثماري كمدخـل لتوسـيع الـدور الإقليمـي

يُعـد الحضـور الاقتصـادي والاسـتثماري أحـد أهـم ركائـز السياسـة الخارجيـة الإماراتيـة في السـنوات الأخيرة، إذ تبنّـت أبوظبـي منـذ عـام 2015 استراتيجيـة قائمـة على توظيـف المال والاسـتثمار كوسـيلة لبنـاء نفـوذ إقليمـي هـادئ داخـل الـدول العربيـة. وتتمثـل هـذه الاستراتيجيـة في الدخـول إلى القطاعـات الاقتصاديـة الحيويـة مثـل الموانـئ، والطاقـة، والزراعـة، والبنيـة التحتيـة، بشـكل يخلـق علاقـات اعـتماد متبـادل بين الإمـارات وتلـك الـدول

ففـي اليمـن، اسـتثمرت الإمـارات في تطويـر الموانـئ الجنوبيـة، مثـل مينـاء المـكلا وعـدن وسـقطرى، بمـا يضمـن لهـا نفـوذًا استراتيجيًـا على طـرق التجـارة البحريـة بين الخليـج والبحر الأحمـر. وترافـق ذلـك مـع تقديـم مسـاعدات إنسـانية وتنمويـة ضخمـة هدفـت إلى كسـب القبـول الشـعبي والسـياسي في المناطـق الجنوبيـة، وفي السـودان، لعبـت أبوظبـي دورًا محوريًـا في دعـم الانتقـال السـياسي بعـد عـام 2019، عبر تقديـم مسـاعدات ماليـة واسـتثمارات في الزراعـة والموانـئ على البحـر الأحمـر، مـا عـزز نفوذهـا لـدى المجلـس العسـكري والحكومـة الانتقاليـة، أمـا في ليبيـا، فقـد اسـتخدمت الإمـارات نفوذهـا الاقتصـادي لدعـم طـرف سـياسي وعسـكري محـدد (الجيـش الوطنـي الليبـي بقيـادة خليفـة حفتر) مـن خلال تمويـل مشروعـات إعـادة الإعمار وتطويـر البنيـة التحتيـة، وهـو مـا مكّنهـا مـن بنـاء تـأثير اقتصـادي وسـياسي مـزدوج، وفي سـوريا وتونـس، اسـتخدمت أبوظبـي سياسـة "الانفتـاح الاقتصـادي التدريجـي" كوسـيلة لإعـادة العلاقـات السياسـية، فعملـت على

(27) - المركز الإماراتي للسياسات (٢٠٢٠). القوة الناعمة في السياسة الخارجية لدولة الإمارات: من الدبلوماسية الثقافية إلى التأثير الإقليم

٢٨-غباش، حمدان (٢٠٢١). الدبلوماسية الثقافية كأداة للنفوذ الإماراتي في المنطقة العربية. مجلة دراسات الخليج، العدد ٤٥.ي. أبوظبي.

(28) 29- المركـز العـربي للأبحـاث ودراسـة السياسـات (٢٠٢٢). الحضـور الهـادئ: قـراءة في أدوات القـوة الناعمـة الإماراتيـة في العـالم العـربي. الدوحـة

(29)

إعادة فتح سفارتها في دمشق عام 2018، وشاركت في دعم بعض المشاريع الاقتصادية التونسية بعد عام 2021، في محاولة لتثبيت نفوذها السياسي بطريقة غير مباشرة

كل تلك الممارسات أظهرت أن الاقتصاد بالنسبة لأبوظبي لم يعد مجرد أداة تنموية، بل تحول إلى وسيلة استراتيجية للنفوذ الهادئ تُتيح للدولة التأثير في السياسات الداخلية والإقليمية للدول العربية بطريقة متدرجة وغير صدامية.([30])

3- الحضور عبر الوكلاء المحليين والقوى غير الرسمية

اعتمدت أبوظبي منذ عام 2015 على استراتيجية الحضور عبر الوكلاء المحليين في عدد من الدول العربية، وهي سياسة تهدف إلى تحقيق الأهداف الاستراتيجية الإماراتية دون انخراط مباشر أو مواجهة مفتوحة. وتعتمد هذه المقاربة على دعم فاعلين محليين سياسيين أو عسكريين ينسجمون مع رؤيتها تجاه الاستقرار، ومكافحة الإسلام السياسي، وبناء أنظمة موالية أو متوافقة مع مصالحها

وظهر ذلك جليا في جنوب اليمن، بدعم أبوظبي للمجلس الانتقالي الجنوبي وقوات الحزام الأمني كنموذجًا واضحًا للنفوذ غير المباشر، حيث وفّرت الدعم العسكري والمالي والتدريب لهذه التشكيلات منذ عام 2016، بهدف تأمين المصالح الإماراتية في الموانئ والمناطق الجنوبية الحساسة مثل عدن والمكلا

أما في ليبيا، فقد مارست الإمارات سياسة مشابهة عبر دعم قوات الجيش الوطني الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر، من خلال الدعم اللوجستي والتمويل والتغطية السياسية، في إطار سعيها لمواجهة الحضور التركي والقطري وحركات الإسلام السياسي

وفي السودان، أقامت أبوظبي علاقات قوية مع قوات الدعم السريع وبعض القيادات العسكرية البارزة، وشاركت في تسهيل الاتفاقات السياسية بين الأطراف المختلفة بعد سقوط نظام عمر البشير، ما منحها موقعًا مؤثرًا في معادلات السلطة الانتقالية

حتى في سوريا وتونس، سعت أبوظبي إلى دعم أطراف محلية تميل إلى مواقفها السياسية، سواء من خلال دعم مؤسسات أمنية أو قوى سياسية علمانية مناوئة للتيارات الإسلامية، مع الحفاظ على مظهر "الوسيط المتوازن"

هذه السياسة تعكس نهج الدبلوماسية الفاعلة الهادئة الذي يجمع بين الدعم بالوكالة والتحكم غير المباشر، بحيث تُحقق الإمارات أهدافها دون الانغماس في حروب مفتوحة أو تحمّل تبعات سياسية مباشرة، وهو ما جعلها من أكثر الفاعلين الإقليميين قدرة على التأثير دون ضجيج إعلامي أو

(30) - مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (٢٠٢١). الاستثمار كأداة للنفوذ الإقليمي: دراسة في السياسة الاقتصادية الخارجية لدولة الإمارات. أبوظبي

تدخل عسكري معلن.[31][32][33][34]

4- الإعلام والدبلوماسية الهادئة كوسيلتين لتشكيل السرد الإقليمي

يُعد الإعلام والدبلوماسية الهادئة من أبرز أدوات الدبلوماسية الفاعلة الهادئة التي تستخدمها أبوظبي للتأثير في البيئة العربية. فمنذ منتصف العقد الماضي، استثمرت الإمارات في شبكات إعلامية إقليمية ومحلية واسعة النطاق — مثل قناة "سكاي نيوز عربية" ومؤسسات صحفية رقمية عديدة — تهدف إلى تشكيل السرد الإقليمي بما يتماشى مع رؤيتها السياسية

تُركّز هذه السياسة الإعلامية على تقديم الإمارات كدولة استقرار وتنمية، في مقابل تصوير خصومها الإقليميين — ولا سيما جماعات الإسلام السياسي أو القوى المتمردة — كمصدر تهديد للأمن العربي. ومن خلال هذا التوجيه الإعلامي، استطاعت أبوظبي التأثير على الرأي العام العربي والدولي، وصياغة خطاب "الاعتدال" و"التسامح" الذي يعزّز مكانتها في مواجهة القوى المنافسة

أما الدبلوماسية الهادئة، فهي الجانب الثاني من هذه المعادلة، إذ تعمل الإمارات من خلال قنوات خلفية واتصالات غير علنية لتسوية النزاعات أو الوساطة فيها، مثل دورها في إعادة العلاقات بين إثيوبيا وإريتريا (2018)، ومبادراتها في الوساطة بين أطراف الأزمة السودانية (2021–2023)، وكذلك في إعادة فتح قنوات التواصل مع سوريا

وتعتمد هذه الدبلوماسية على مبدأ "عدم الصدام" و"الوساطة الصامتة"، ما يتيح لأبوظبي كسب ثقة الأطراف المختلفة وتعزيز حضورها كقوة موازنة في المنطقة. وتُظهر التجارب العربية أنّ هذه السياسة منحت الإمارات نفوذًا متزايدًا في قضايا حساسة، مع احتفاظها بصورة "الدولة الهادئة والعقلانية" في علاقاتها الدولية.[35][36][37][38]

5- التحالفات الإقليمية المرنة كإطار للنفوذ الهادئ

لقد اتبعت أبوظبي نهجًا يقوم على التحالفات الإقليمية المرنة التي تتيح لها توسيع نفوذها دون الاضطرار إلى الالتزام بتحالفات صلبة طويلة المدى. فقد اعتمدت على مبدأ «الشراكة الانتقائية» مع الدول العربية تبعًا للمصالح وليس الأيديولوجيا ففي مصر، كانت الإمارات من أبرز

(31) - المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (٢٠٢٠). الحضور بالوكالة: قراءة في دور الإمارات في اليمن وليبيا والسودان. الدوحة.
(32) - مجموعة الأزمات الدولية (٢٠٢١). الإمارات والقوى المحلية في اليمن وليبيا: من الحضور الهادئ إلى الحضور المركب. بروكسل.
(33) - معهد كارنيغي للشرق الأوسط (٢٠٢٢). دبلوماسية الوكلاء: كيف توسّع الإمارات نفوذها عبر الأطراف المحلية؟. بيروت.
(34) - مركز الإمارات للسياسات (٢٠٢٣). الشراكات الأمنية غير الرسمية في الاستراتيجية الإماراتية بعد ٢٠١٥. أبوظبي.
(35) - معهد الشرق الأوسط (٢٠٢٠). الإعلام كأداة للنفوذ السياسي في الاستراتيجية الإماراتية بعد ٢٠١٥. بيروت.
(36) - مركز الإمارات للسياسات (٢٠٢١). الدبلوماسية الهادئة: مفهومها وتطبيقاتها في السياسة الخارجية لدولة الإمارات. أبوظبي.
(37) - المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (٢٠٢٢). القوة الناعمة الإماراتية من الإعلام إلى الوساطة الدبلوماسية. الدوحة.
(38) - مجلة السياسة الدولية (٢٠٢٣). التأثير الإعلامي الإماراتي في السرد الإقليمي العربي. القاهرة.

الداعـمين السياسـيين والاقتصـاديين للنظـام المصري بعـد عـام 2013، معـتبرة أن اسـتقرار القاهـرة يمثـل ركيـزة لأمـن الخليـج والمنطقـة، كما ضخـت اسـتثمارات بمليـارات الـدولارات في قطاعـات الطاقـة والبنيـة التحتيـة

وفي السـعودية، نسّـقت أبوظبـي مواقفهـا في ملفـات عـدة مثـل اليمـن وليبيـا، لكنهـا في الوقـت نفسـه حافظـت على اسـتقلالية قرارهـا، كما ظهـر في انسـحابها التدريجي مـن العمليـات العسـكرية في اليمـن عـام 2019 دون صـدام مـع الريـاض

أمـا في الأردن والمغـرب، فقـد انتهجـت الإمـارات سياسـة الدعـم المالي والاقتصـادي المتبادل، وشـاركت في مشـاريع استثمارية كبرى، مـع تعزيـز التنسـيق الأمنـي والاسـتخباراتي، مما جعـل هـذه الـدول حلفـاء استراتيجيين في الإطـار العـربي المعتـدل

وتتـجلى مرونـة هـذه التحالفـات في قـدرة أبوظبـي على إدارة علاقاتهـا بطريقـة مزدوجـة: فهـي تحافـظ على تحالفاتهـا التقليديـة مـع السـعودية ومصر، وفي الوقـت ذاتـه تفتـح قنـوات تواصـل مـع تركيـا وإيـران وإسرائيـل بعـد عـام 2020، بما يعكـس سياسـة براغماتيـة قائمـة على المصالـح الواقعيـة لا الاصطفـاف الأيديولوجـي.[39][40][41][42]

6- شـبكة القواعـد اللوجسـتية والعسـكرية كوسـيلة نفـوذ غير مبـاشر

سياسـة أبوظبـي تقـوم على الدبلوماسـية الفاعلـة الهادئـة، ولكـن على الرغـم مـن كل ذلـك فإنهـا أدركـت أهميـة القـوة الصلبـة كعامـل داعـم للقـوة الناعمـة، ولذلـك سـعت إلى بنـاء شـبكة قواعـد لوجسـتية ومراكـز انتشـار خـارج حدودهـا لتـأمين مصالحهـا الاقتصاديـة والأمنيـة

وقـد بـرز هـذا التوجّـه بوضـوح في القـرن الإفريقـي، حيـث أقامـت الإمـارات قواعـد وموانـئ في إريتريـا (عصـب)، والصومـال (بربـرة وبوصاصـو)، مما مكّنهـا مـن مراقبـة خطـوط الملاحـة البحريـة الحيويـة في البحـر الأحمـر وخليـج عـدن

كما أقامـت ترتيبـات أمنيـة في اليمـن عبر قواتهـا في سـقطرى والمـكلا، مما منحهـا قـدرة لوجسـتية استراتيجية لتعزيـز نفوذهـا البحري. هـذه القواعـد لا تُسـتخدم لأغـراض عسـكرية بحتـة، بـل أيضًـا كمنصـات لدعـم المسـاعدات الإنسـانية وحمايـة خطـوط التجـارة البحريـة التـي تُعـد شريانًـا حيويًـا للاقتصـاد الإمـاراتي

ومـن خلال هـذه الشـبكة، اسـتطاعت أبوظبـي أن تتحـول مـن دولـة خليجيـة محـدودة الحضـور إلى فاعـل إقليمـي مؤثـر في الأمـن البحـري الإقليمـي والعـربي، دون أن تدخـل في مواجهـات مبـاشرة، مما يجسّـد

(39) - مركز الإمارات للسياسات (٢٠٢٠). التحالفات المرنة في السياسة الخارجية الإماراتية. أبوظبي.
(40) - مجلة السياسة الدولية (٢٠٢١). العلاقات الإماراتية – السعودية: من الشراكة إلى تباين المصالح في اليمن. القاهرة.
(41) - مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة الملك سعود (٢٠٢٢). التوازن الإقليمي في السياسة الإماراتية الحديثة. الرياض.
(42) - معهد الشرق الأوسط (٢٠٢٣). إعادة تعريف التحالفات العربية: الحالة الإماراتية نموذجًا. بيروت.

مفهوم الحضور الصامت عبر الحضور اللوجستي.[43][44][45]

7- الدور الإنساني والديني في خدمة الحضور السياسي

اعتمدت أبوظبي على الدور الإنساني والديني كجزء من أدوات القوة الناعمة لتعزيز مكانتها في العالم العربي. فالمساعدات الإنسانية والتنموية التي تقدمها الإمارات، سواء عبر الهلال الأحمر أو مؤسسة زايد الخيرية، أصبحت أداة سياسية ناعمة لتكريس نفوذها الإقليمي

ففي اليمن، موّلت الإمارات إعادة بناء المستشفيات والمدارس في المحافظات الجنوبية، وفي السودان قدمت مساعدات غذائية وطبية ضخمة بعد الفيضانات، وفي سوريا ساهمت في مشاريع الإغاثة داخل المناطق المتضررة من الحرب

أما على الصعيد الديني، فقد رعت أبوظبي مبادرات كبرى مثل وثيقة الأخوة الإنسانية (2019) التي وُقعت مع الفاتيكان، وأسست مجلس حكماء المسلمين في 2014، كمنصة لنشر خطاب الاعتدال والتسامح، ما عزّز صورتها كعاصمة "الإسلام المتسامح" في مقابل التيارات المتشددة

هذه المقاربة الإنسانية – الدينية مكّنت أبوظبي من الجمع بين الرمزية الأخلاقية والحضور السياسي الهادئ، بحيث تُمارس التأثير دون تدخل مباشر أو فرض هيمنة تقليدية.[46][47][48]

8- تقييم شامل لنتائج سياسة الدبلوماسية الفاعلة الهادئة في البيئة العربية

أثمرت سياسة الدبلوماسية الفاعلة الهادئة التي قادتها أبوظبي عن تحول نوعي في موقع الإمارات الإقليمي. فقد انتقلت من دولة ذات حضور اقتصادي فقط إلى فاعل سياسي ودبلوماسي مركزي في قضايا المنطقة. كما نجحت هذه السياسة في ترسيخ صورة الإمارات كقوة استقرار في اليمن وليبيا والسودان، وكوسيط متوازن في أزمات سوريا وتونس ومصر، وكشريك اقتصادي واستثماري فاعل في المغرب والأردن، ومع ذلك، واجهت الإمارات تحديات تتعلق باتهامات «الحضور الزائد» أو «التحكم غير المباشر»، خاصة في اليمن وليبيا، حيث نظر بعض الفاعلين المحليين إلى دورها بريبة. إلا أن توازنها بين القوة الناعمة والواقعية السياسية مكّنها من الحفاظ على علاقاتها المتنوعة دون الدخول في صدامات حادة

بذلك، يمكن القول إن "الدبلوماسية الفاعلة الهادئة" أصبح سمة مميزة

(43) - مجموعة الأزمات الدولية (٢٠٢٠). الإمارات في القرن الإفريقي: الحضور اللوجستي والسيطرة البحرية. بروكسل.
(44) - المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (٢٠٢١). من عصب إلى سقطرى: الجغرافيا الاستراتيجية للنفوذ الإماراتي في البحر الأحمر. الدوحة.
(45) - مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (٢٠٢٢). الوجود الإماراتي في الموانئ الإفريقية: بين الأمن البحري والتأثير الإقليمي. أبوظبي.
(46) - مركز الإمارات للسياسات (٢٠٢٠). الدين والتسامح كركيزتين في القوة الناعمة الإماراتية. أبوظبي.
(47) - مجلة دراسات الخليج (٢٠٢١). المساعدات الإنسانية كأداة للنفوذ السياسي في العالم العربي: حالة الإمارات. الدوحة.
(48) - معهد البحوث والدراسات العربية (٢٠٢٢). الدبلوماسية الدينية الإماراتية ودورها في إعادة تشكيل الخطاب الإسلامي العربي. القاهرة

للـدور الإمـاراتي العـربي، يقـوم على التحكـم في مسـارات التـأثير دون مواجهـة مبـاشرة، ويمـزج بين أدوات الاقتصـاد والإعلام والثقافـة والمسـاعدات، ليجعـل مـن الإمـارات نموذجًـا جديـدًا للدبلوماسـية البراغماتيـة في القـرن الحـادي والعشريـن.[49][50][51]

9- المخاطـر والقيـود التـي تواجـه الدبلوماسـية الفاعلـة الهادئـة

على الرغـم مـن نجـاح سياسـة الدبلوماسـية الفاعلـة الهادئـة في تحقيـق مكاسـب استراتيجيـة كـبيرة لأبوظبـي، إلا أن هـذه السياسـة تواجـه قيـودًا ومخاطـر متعـددة

أولًا: يعتمـد أبوظبـي على خلـق تحالفـات مـع قـوى محليـة في عـدد مـن الـدول، مثـل المجلـس الانتقـالي الجنـوبي في اليمـن، مـا يعنـي أن هـؤلاء الـوكلاء قـد يتصرفـون باسـتقلالية أو قـد تتـغير مصالحهـم المحليـة بمـا يعـارض أهـداف الإمـارات

ثانيًـا: ظهـور أي تقاريـر تـنشر مزاعـم عـن تدخـل إمـاراتي في الشـؤون الداخليـة للـدول الأخـرى، وهـو مـا قـد يتطلـب تفنيـذ أي مزاعـم قـد تـؤدي إلى تراجـع الشرعيـة والقبـول السـياسي في تلـك البلـدان، مما يضعـف مصداقيـة سياسـة الدبلوماسـية الفاعلـة الهادئـة

ثالثًـا: هنـاك تحديـات إقليميـة، حيـث أن التوسـع الإمـاراتي في شركات في ملفـات مثـل اليمـن وليبيـا قـد يُـثير توتـرات مـع دول عربيـة، وهـو مـا قـد يحـد مـن قـدرة أبوظبـي على المنـاورة في بعـض المراحـل

رابعًـا: سياسـة الدبلوماسـية الفاعلـة الهادئـة تعتمـد على الموازنـات الاقتصاديـة والسياسـية؛ أي تراجـع في القـدرة الاسـتثمارية أو الضغـط الإقليمـي قـد يضعـف مـن هـذه السياسـة ويجعلهـا أقـل تـأثيرًا على المـدى الطويـل

بالتـالي، على الرغـم مـن المزايـا الكـبيرة لهـذه السياسـة، فهـي ليسـت خاليـة مـن المخاطـر، وتتطلـب إدارة دقيقـة لـكل أبعـاد الحضـور، الاقتصاديـة والسياسـية واللوجسـتية، للحفـاظ على اسـتمراريتها وفعاليتهـا في البيئـة العربيـة المعقـدة.[52][53][54]

المحـور الرابـع: مقاربـة بين القـوة الناعمـة لدولـة الإمـارات والسياسـة السـعودية الحـذرة في الملفـات الإقليميـة

شـهدت منطقـة الخليـج تحـولاً جذريـاً في سياسـاتها الخارجيـة، حيـث انتقلـت دولتـا الإمـارات العربيـة المتحـدة والمملكـة العربيـة

(49) - المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (٢٠٢٣). حصيلة عقد من الحضور الإماراتي في المنطقة العربية: قراءة في النتائج والمآلات. الدوحة.
(50) - مركز الإمارات للسياسات (٢٠٢٣). التحول من الاقتصاد إلى السياسة: الإمارات نموذجًا في الحضور الهادئ. أبوظبي.
(51) - مجلة السياسة الدولية (٢٠٢٤). الدور الإماراتي الجديد في النظام العربي: تقييم نقدي للسياسات الهادئة. القاهرة.

(52) - المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (٢٠٢٣). الحضور الإماراتي في العالم العربي: المخاطر والتحديات. الدوحة.
(53) - مركز الإمارات للسياسات (٢٠٢٢). قيود سياسة الحضور الهادئ: دراسة في البيئة الإقليمية العربية. أبوظبي.
(54) - مجموعة الأزمات الدولية (٢٠٢١). الإمارات وقيود التدخل في اليمن وليبيا والسودان. بروكسل.

السعودية من مرحلة التنسيق التام في التدخلات الإقليمية إلى تبني مسارات استراتيجية متباينة

تتبنى أبوظبي استراتيجية طموحة وواضحة المعالم ترتكز على القوة الناعمة (Soft Power) وما يُعرف بـ «الدبلوماسية الفاعلة الهادئة»، بينما تحولت الرياض، خاصة في ظل «رؤية 2030»، إلى نهج أكثر حذراً وبراغماتية، يركز على تصفير المشاكل الإقليمية وتعزيز التنمية الداخلية. يهدف هذا البحث إلى إجراء مقاربة تحليلية بين هذين النموذجين المتباينين في إدارة الملفات العربية والإقليمية

أولا:القوة الناعمة مقابل البراغماتية الحذرة

أ-القوة الناعمة الإماراتية: استراتيجية الاستباق والتأثير

تعد الإمارات من الدول الرائدة إقليمياً في تبني مفهوم **القوة الناعمة**، ولديها استراتيجية رسمية وشاملة تهدف إلى بلورة برامج وسياسات عمل مستدامة ذات بعد إقليمي وعالمي([55]). هذا النهج الاستباقي يهدف إلى اكتساب ميزة تنافسية وزيادة الحضور الإقليمي والدولي، معتمدة على **مجموعة من الأدوات:**

- **الأدوات الاقتصادية:** توظيف الاستثمارات الضخمة في البنية التحتية والموانئ (خاصة في أفريقيا والقرن الأفريقي)، واستضافة الفعاليات العالمية الكبرى، مما يرسخ مكانتها كمركز أعمال ولوجستي عالمي.
- **الأدوات الثقافية والدبلوماسية:** التركيز على قيم التسامح، التبادل الثقافي، دعم اللغة العربية، والمبادرات الإنسانية، مما عزز مكانتها في مؤشر القوة الناعمة العالمي ([56]).
- **الدبلوماسية الفاعلة الهادئة بالوكالة:** في مناطق النزاع، مثل اليمن والسودان، تحولت الإمارات من التدخل المباشر إلى سياسة «الحضور بالوكالة»، حيث تدير مصالحها عبر شركاء محليين، مما يحافظ على نفوذها الجيوسياسي بأقل قدر من التكلفة السياسية المباشرة ([57]).

ثانيا: السياسة السعودية الحذرة: البراغماتية وتصفير المشاكل :

شهدت السياسة الخارجية السعودية تحولاً نوعياً منذ إطلاق «رؤية 2030»، متجهة نحو نهج أكثر واقعية **وبراغماتية**([58]).

هذا التحول جاء بعد فترة من التدخلات الإقليمية الحازمة، مثل حرب اليمن، والتي

(55) - حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة. استرتيجية القوة الناعمة لدولة الإمارات. الرابط: https://u.ae/ar/about-the-uae/strategies-initiatives-and-awards/strategies-plans-and-visions/strategies-plans-and-visions-untill-2021/the-uae-soft-power-strategy

(56) - الإمارات في قائمة الدول العشر الأولى على مؤشر القوة الناعمة العالمي.
Middle East Online URL: https://middle-east-online.com

٥٧-ما الذي تبحث عنه الإمارات في اليمن؟. Sana'a Center. https://sanaacenter.org/ar/translations/16956

(57) 58- كيف غيّر الأمير محمد بن سلمان السياسة الخارجية السعودية. https://thmanyah.com/post/1md3gbw1ek_1jhggnmybp

(58)

أظهـرت الحاجـة إلى تقليـل المخاطـر والتركيـز على الأولويـات الداخليـة

- **التركيـز على الداخـل:** ربـط السياسـة الخارجيـة بأهـداف رؤيـة 2030 الاقتصاديـة، حيث أصبح الاسـتقرار الإقليمـي شرطـاً أساسـياً لنجـاح خطـط التنويع الاقتصادي وتشـجيع الاسـتثمارات

- **الوسـاطة والمصالحـة:** تبنـت السـعودية استراتيجيـة «تصـفير المشـاكل»، حيـث بـرزت كوسـيط إقليمـي فاعـل. أبـرز مثـال على ذلـك هـو المصالحـة التاريخيـة مـع إيـران بوسـاطة صينيـة في مـارس 2023 ([59])، بالإضافـة إلى وسـاطتها في الصراع السـوداني، ودعـم جهـود المصالحـة في اليمـن ([60])

- **تقليـل الانخـراط المبـاشر:** الانسـحاب التدريجـي مـن النزاعـات المبـاشرة والتركيـز على الحلـول الدبلوماسـية، مما يعكـس سياسـة حـذرة تهـدف إلى تجنـب الاسـتنزاف السـياسي والعسـكري

مقارنة تحليلية للاستراتيجيتين في الملفات الإقليمية :

تظهـر المقارنـة بين النمـوذجين تباينـاً واضحـاً في الأدوات والأولويـات، على الرغـم مـن أن الهـدف النهـائي لكليـهما هـو تعزيز المكانـة الإقليميـة والدوليـة([61])

الملمح المقارن	دولة الامارات (القوة الناعمة / الدبلوماسية الفاعلة الهادئة)	المملكة العربية السعودية (السياسة الحذرة / البراغماتية)
الهدف الاستراتيجي	توسع العلاقات الجيوسياسية والاقتصادية عالمياً ، والتحول إلى دولة ارتكازية (Pivotal State)	ضمان الاستقرار الاقليمي كشرط رؤية ٢٠٢٣ والتنمية الداخلية
الاداة الرئيسية	القوة الناعمة ، الاستثمارات، الدبلوماسية.	الوساطة ، المصلحة الاقليمية ، الدبلوماسية المباشرة مع الخصوم ، القوة الاقتصادية الهائلة
التعامل مع الخصوم	الحفاظ على قنوات إتصال سرية ومرنة ، والتركيز على المصالح المشتركة (مثل الدور في افغانستان)	المصالحة المباشرة والعلنية (مثل إتفاق الرياض – طهران) والعمل على إنهاء الخلافات
التنافس الاقليمي	تنافس هادئ مع السعودية عبر التفوق الاقتصادي والتجاري ، وإستغلال إتفاقيات إبراهيم لتعزيز الميزة التنافسية .	منافسة إقتصادية مع الامارات (مثل إلزام الشركات الاجنبية بإنشاء مقارها في الرياض) والتركيز على إستعادة الريادة الاقليمية الكلاسيكية
السمة البارزة	الاستباقية والبراغماتية الاقتصادية (والبراغماتية تعني الغاية تبرر الوسيلة)	الواقعية والتحوط الاستراتيجي

(59) - مجلس الشرق الأوسط. ترسيخ المبادئ بين المملكة العربية السعودية والجمهورية الإسلامية.

(60) - العراق. دور السعودية في تهدئة النزاعات الدولية والإقليمية في عام ٢٠٢٥.

(61) - المركز العربي العاصمة . The UAE-Saudi Arabia Rivalry Becomes a Rift التنافس الإماراتي السعودي يتحول إلى خلاف. الرابط:
https://arabcenterdc.org/resource/the-uae-saudi-arabia-rivalry-becom

التوصيات:

(1) مقارنة دور الإمارات مع دور قطر ومصر في وساطات سابقة

(2) دراسة أثر التطبيع على قدرة الدول الخليجية على الوساطة

(3) تقييم طويل المدى لآثار التمويل الإماراتي على إعادة الإعمار والشرعية المحلية في غزة

النتائج:

تُظهر سياسة « الدبلوماسية الفاعلة الهادئة» الإماراتي تحولاً استراتيجياً مدروساً يهدف إلى تحقيق أقصى قدر من المصالح الجيوسياسية والاقتصادية بأقل قدر من التكلفة والمخاطر. يتميز هذا الحضور بـ

1- المرونة والبراغماتية ويظهر ذلك جليا في القدرة على التكيف مع المتغيرات الإقليمية والدولية

2-التركيز على الأدوات غير العسكرية من خلال إعطاء الأولوية للنفوذ الاقتصادي والدبلوماسي الهادئ

3- الفعالية في مناطق النزاع وذلك من خلال استخدام «الوكلاء» لضمان استمرارية الحضور في المناطق المضطربة مثل اليمن وليبيا والسودان وهذا سمح لأبوظبي بتحقيق استقرار في تلك البلدان

4-إعادة تشكيل التحالفات بإنشاء محاور جديدة (مثل اتفاقيات إبراهيم) وتصفير المشاكل مع الخصوم السابقين

5- ترسيخ الحضور الاقتصادي باستخدام الثروة والاستثمار كأدوات دبلوماسية فعالة

6- تعزيز الاستقرار من خلال دور الوساطة والتحرك الأمني الحاسم والمدروس

7- نجاح متكامل للقوة الناعمة والاقتصادية حيث استطاعت الإمارات دمج الأدوات الثقافية والتنموية والاقتصادية لتعزيز حضورها الإقليمي

8- التأثير الإعلامي والدبلوماسي الهادئ والذي ساعد على صياغة صورة إيجابية وشرعية إقليمية للدولة

9- المرونة في التحالفات من خلال اعتماد النهج القائم على الشراكات الانتقائية مع الدول العربية والخليجية أتاح قدرة على المناورة في ملفات حساسة

10- الاستدامة الاقتصادية للنفوذ والمتمثل في الاستثمار في البنية التحتية والموانئ والقطاعات الحيوية ودعم الحضور السياسي واستمرارية التأثير على المدى الطويل

11- التوازن بين القوة الناعمة والصلبة فعلى الرغم من اعتمادها على الدبلوماسية الفاعلة الهادئة، حافظت الإمارات على وجود لوجستي واستراتيجي في مواقع حيوية لدعم نفوذها

12- المبادرات الإنسانية والدينية عززت من مصداقية الدولة وسمحت بترسيخ الحضور الرمزي

13- تحقيق توازن الإقليم العربي اعتمدته

الامارات كأسلوب للنفوذ الهادئ مما سمح لها بالاستمرار كفاعل مؤثر دون الدخول في صدامات مباشرة مع قوى إقليمية أخرى

الخاتمة

تُظهر الدراسة أن الدور الإماراتي في أزمة غزة لم يكن هامشياً، بل كان حاسماً ومتعدد الأوجه. فمن جهة، عملت الدبلوماسية الإماراتية كجسر حيوي لتأمين وتثبيت صفقة وقف إطلاق النار، ومن جهة أخرى، شكلت عملية «الفارس الشهم 3» صمام أمان إنسانياً لسكان القطاع. أما على المستوى الإقليمي، فقد نجحت الإمارات في معالجة التحدي المتمثل في الموازنة بين علاقاتها الجديدة (اتفاقيات إبراهيم) وبين التزامها الثابت تجاه القضية الفلسطينية وحل الدولتين. إن هذا الدور المتوازن والفاعل يعزز من مكانة الإمارات كلاعب رئيسي يسعى نحو الاستقرار الإقليمي الشامل والمستدام، كما أظهرت الدراسة سياسة الدبلوماسية الفاعلة الهادئة لأبوظبي بأن الدولة استطاعت منذ 2015 تطوير نموذج متكامل يجمع بين القوة الناعمة والقوة الاقتصادية والواقعية السياسية، ليصبح نفوذها في المنطقة العربية أكثر ثباتًا وتأثيرًا. كما كشف أن الإمارات لم تعتمد على وسيلة واحدة لتحقيق مصالحها، بل وظفت مزيجًا من الدبلوماسية الثقافية، الاستثمارات الاقتصادية، الوكلاء المحليين، الإعلام، التحالفات المرنة، والدور الإنساني والديني، إضافة إلى الدعم اللوجستي والقدرات الاستراتيجية، وهذا النهج ساعدها على بناء نفوذ طويل الأمد في اليمن، ليبيا، السودان، سوريا، تونس، مصر، المغرب، والأردن، مع الحفاظ على صورة الدولة كفاعل معتدل ومسؤول في النظام العربي

وبالرغم من النجاحات، أظهرت الدراسة أن هذا النهج ليس خاليًا من المخاطر، إذ تعتمد سياسة الدبلوماسية الفاعلة الهادئة على موازنة دقيقة بين المصالح الاقتصادية والسياسية، والتحكم في وكلاء محليين، وتجنب التصادم مع القوى الإقليمية الأخرى

المراجع:

1- اتفاق تطبيع العلاقات بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة. (ويكيبيديا) https://ar.wikipedia.org/wiki/

2- الإمارات وأهدافها من الحرب في اليمن. (2017) https://carnegieendowment.org/sada/2017/10/the-uaes-war-aims-in-yemen?lang=ar

3- أوراق وتقارير تحليلية عن دور دول الخليج في المفاوضات وآليات الوساطة؛ وإعلانات رسمية ترحّب بالاتفاقات/الهدن.

4- أمواج ميديا. (2023، 30 أكتوبر). بعد ثلاث سنوات من اتفاقيات إبراهيم، حرب غزة تضع الإمارات.... https://amwaj.media/ar/arti-gaza-accords-abraham-after-years-three/cle-uae-corners-war

5- الإمارات في قائمة الدول العشر الأولى على مؤشر القوة الناعمة العالمي.

6- بيانات حكومية وأخبار عن جهود دبلوماسية إماراتية لرفع الحصار/دخول الإغاثة وإنشاء مبادرات إعادة إعمار.

7- تحليل علاقات الإمارات-إسرائيل وتأثيرها على قدرة الإمارات على الوساطة والسياسات الإقليمية.

8- تحليلات عن سياسة الخليج والدور الإماراتي في معالجة تبعات الحرب ومحاولة خلق توازن إقليمي.

9- تحليلات عن سياسة الخليج والدور الإماراتي في معالجة تبعات الحرب ومحاولة خلق توازن إقليمي.

10- تقرير إخباري عن محادثات الإمارات مع الولايات المتحدة وإسرائيل بشأن الحِكم المؤقت وإعادة الإعمار؛ وتحليلات عن وضع الاتفاقات العربية-الإسرائيلية وتأثيرها.

11- حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة. استرتيجية القوة الناعمة لدولة الإمارات. الرابط: https://u.ae/ar/about-the-uae/strategies-initiatives-and-awards/strategies-plans-and-visions/strategies-plans-and-visions-until-2021/the-uae-soft-power-strategy

12- دور السعودية في تهدئة النزاعات الدولية والإقليمية في عام 2025العراق.

13- درويش، حنان. القوة الناعمة في السياسة الخارجية لدولة الإمارات، مجلة السياسة الدولية، العدد 219، 2023م.

41- سكاي نيوز عربية. (2025، 12 أكتوبر). تقارير أممية: الإمارات تقدم 44% من مساعدات غزة. https://www.skynewsarabia.com/live-story/1659732/62959

15- الشرق الأوسط (2023) URL: https://www.alghad.tv

61- العين الإخبارية. (2025، 1 أغسطس). الإمارات الأكثر دعما لغزة بـ1.5 مليار دولار جسور عطاء ممتدة. https://al-ain.com/article/the-uae-most-supportive-country-gaza

17- العوضي، علي. السياسة الخارجية الإماراتية: من التوازن إلى الحضور الإقليمي، مركز الإمارات للدراسات، 2022م).

18- العين الإخبارية. (2025، 9 أكتوبر). اتفاق غزة.. محطات إماراتية بارزة على طريق تحقيق السلام. https://www.alain.com/article/gaza-agreement-emirati-milestones-achieving-peace

19- غباش، حمدان (2021). الدبلوماسية الثقافية كأداة للنفوذ الإماراتي في المنطقة العربية. مجلة دراسات الخليج، العدد 45.ي. أبوظبي.

20- قوة الكلمة: كيف أعادت الإمارات تعريف الوساطة الدولية؟. (2024). https://www.habtoorresearch.com/ar/programmes

21- كاي نيوز عربية. (تاريخ حديث). تحذيرات الإمارات لإسرائيل.. دبلوماسية حازمة أم إنذار مبكر؟

22- كيف غيّر الأمير محمد بن سلمان السياسة الخارجية السعودية. https://thmanyah.com/post/1jhggnmybp_1md3gbw1ek.

23- المحمود، سعيد. الشرق الأوسط بعد الربيع العربي: أدوار القوى الإقليمية الجديدة، دار الفكر العربي، 2021م.

24- محمد بن زايد ... نموذج عالمي للقيادة. (2022: https://www.rawabetcenter.com/ar-chives/146042]

52- مجموعة «جي 42» والمثلث الصيني الإماراتي الأمريكي. (2024).: https://www.wash-.

-mjmwt/analysis-policy/ar/org.ingtoninstitute
alamryky-alamaraty-walmthlth-42-jy

26- محمد بن زايد.. صانع السلام ورائد الدبلوماسية الإنسانية. (2025). https://www.al-bayan.ae/uae/news/2025-10-01/1317544

27- مقالات تحليلية وصحفية عن أسلوب «الدبلوماسية الفاعلة الهادئة» الإماراتي وتطبيقاته في نزاعات إقليمية.

28- المركز الإماراتي للسياسات (2020). القوة الناعمة في السياسة الخارجية لدولة الإمارات: من الدبلوماسية الثقافية إلى التأثير الإقليم

29- مجموعة الأزمات الدولية (2021). الإمارات والقوى المحلية في اليمن وليبيا: من الدبلوماسية الفاعلة الهادئة إلى الحضور المركب. بروكسل.

30- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (2022). الدبلوماسية الفاعلة الهادئة: قراءة في أدوات القوة الناعمة الإماراتية في العالم العربي. الدوحة.

31- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (2021). الاستثمار كأداة للنفوذ الإقليمي: دراسة في السياسة الاقتصادية الخارجية لدولة الإمارات. أبوظبي.

32- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (2020). الحضور بالوكالة: قراءة في دور الإمارات في اليمن وليبيا والسودان. الدوحة.

33- معهد كارنيغي للشرق الأوسط (2022). دبلوماسية الوكلاء: كيف توسّع الإمارات نفوذها عبر الأطراف المحلية؟. بيروت.

34- مركز الإمارات للسياسات (2023). الشراكات الأمنية غير الرسمية في الاستراتيجية الإماراتية بعد 2015. أبوظبي.

35- معهد الشرق الأوسط (2020). الإعلام كأداة للنفوذ السياسي في الاستراتيجية الإماراتية بعد 2015. بيروت.

36- مركز الإمارات للسياسات (2021). الدبلوماسية الهادئة: مفهومها وتطبيقاتها في السياسة الخارجية لدولة الإمارات. أبوظبي.

37- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (2022). القوة الناعمة الإماراتية من الإعلام إلى الوساطة الدبلوماسية. الدوحة.

38- مجلة السياسة الدولية (2023). التأثير الإعلامي الإماراتي في السرد الإقليمي العربي. القاهرة.

39- مركز الإمارات للسياسات (2020). التحالفات المرنة في السياسة الخارجية الإماراتية. أبوظبي.

40- مجلة السياسة الدولية (2021). العلاقات الإماراتية – السعودية: من الشراكة إلى تباين المصالح في اليمن. القاهرة.

41- مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة الملك سعود (2022). التوازن الإقليمي في السياسة الإماراتية الحديثة. الرياض.

42- معهد الشرق الأوسط (2023). إعادة تعريف التحالفات العربية: الحالة الإماراتية نموذجًا. بيروت.

43- مجموعة الأزمات الدولية (2020). الإمارات في القرن الإفريقي: الحضور اللوجستي والسيطرة البحرية. بروكسل.

44- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (2021). من عصب إلى سقطرى: الجغرافيا الاستراتيجية للنفوذ الإماراتي في البحر الأحمر. الدوحة.

45- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (2022). الوجود الإماراتي في الموانئ

الإفريقيـة: بـين الأمـن البحـري والتأثـير الإقليمـي. أبوظبـي.

46- مركـز الإمـارات للسياسـات (2020). الديـن والتسـامح كركيزتـين في القـوة الناعمـة الإماراتيـة. أبوظبـي.

47- مجلـة دراسـات الخليـج (2021). المسـاعدات الإنسـانية كأداة للنفـوذ السـياسي في العـالم العـربي: حالـة الإمـارات. الدوحـة.

48- مجلـة المسـتقبل العـربي (2024). السياسـة الخارجيـة الخليجيـة: بـين التدخـل المبـاشر والدبلوماسـية الفاعلـة الهادئـة. بـيروت.

49- معهـد البحـوث والدراسـات العربيـة (2022). الدبلوماسـية الدينيـة الإماراتيـة ودورهـا في إعـادة تشـكيل الخطـاب الإسـلامي العـربي. القاهـرة.

50- المركـز العـربي للأبحاث ودراسـة السياسـات (2023). حصيلـة عقـد مـن الحضـور الإمـاراتي في المنطقـة العربيـة: قـراءة في النتائج والمآلات. الدوحـة.

51- مركـز الإمـارات للسياسـات (2023). التحـول مـن الاقتصـاد إلى السياسـة: الإمـارات نموذجًـا في الدبلوماسـية الفاعلـة الهادئـة. أبوظبـي.

52- مجلـة السياسـة الدوليـة (2024). الـدور الإمـاراتي الجديـد في النظـام العـربي: تقييـم نقـدي للسياسـات الهادئـة. القاهـرة.

53- المركـز العـربي للأبحاث ودراسـة السياسـات (2023). الحضـور الإمـاراتي في العـالم العـربي: المخاطـر والتحديـات. الدوحـة.

54- مركـز الإمـارات للسياسـات (2022). قيـود سياسـة الدبلوماسـية الفاعلـة الهادئـة: دراسـة في البيئـة الإقليميـة العربيـة. أبوظبـي.

55- مجموعـة الأزمـات الدوليـة (2021). الإمـارات وقيـود التدخـل في اليمـن وليبيـا والسـودان. بروكسـل.

56- Middle East Online URL: https://middle-east-online.com

57- مـا الـذي تبحـث عنـه الإمـارات في اليمـن؟. Sana'a Center. https://sanaacenter.org/ar/translations/16956

58- مجلـس الـشرق الأوسـط. ترسـيخ المبـادئ بـين المملكـة العربيـة السـعودية والجمهوريـة الإسـلامية.

95- المركـز العربي العاصمة . The UAE-Saudi Arabia Rivalry Becomes a Rift التنافـس الإمـاراتي السـعودي يتحـول إلى خـلاف. الرابـط: https://:doi.org.arabcenterdc/resource/ 60- becom-rivalry-arabia-saudi-uae-the

61- وزارة الخارجيـة الإماراتيـة. (2025، 9 أكتوبـر). الإمـارات تُرحـب بالاتفـاق عـلى المرحلـة الأولى مـن إطـار وقـف إطـلاق النـار في غـزة. https://www.mofa.gov.ae/ar-ae/MediaHub/News/2025/10/9/9-10-2025-UAE-UAE

62- وكالـة الأناضـول. (تاريـخ حديـث). ويتكـوف وكوشـنر يبحثـان بالإمـارات جهـود تثبيـت اتفـاق غـزة https://www.aa.com.tr/ar

63- وكالـة أنبـاء الإمـارات (وام). (تاريـخ حديـث). المستشـفى الميـداني الإماراتي يقـدم خدماتـه الطبيـة لـ 48700 حالـة

64- وكالـة الأناضـول. (2025، 28 سـبتمبر). نيويـورك.. الإمـارات تجـدد دعمهـا "حـل الدولتـين" للقضيـة الفلسـطينية. https://www.aa.com.tr/ar

خارطة الشعر الوطني في جنوب اليمن

القصيدة التي أخفاها السرد اليمني: قراءة نقدية في رؤية د. عبدالعزيز المقالح للشعر في عدن

«هذه الورقة ترسم خارطة الشعر الوطني الجنوبي منذ العشرينيات حتى الاستقلال، كاشفةً عن القصيدة التي أخفاها السرد اليمني الموحد، ومقدمةً قراءة نقدية لرؤية د. عبدالعزيز المقالح للشعر في عدن، في محاولة لاستعادة الصوت الشعري الجنوبي بوصفه شاهدًا على الوعي والهوية والمقاومة»

☐ **د. عبده يحيى الدباني**

أستاذ الأدب العربي الحديث والنقد في جامعة عدن، وعضو المجلس الاستشاري لمجلة بريم الصادرة عن مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات

ملخص :

يهدف هذا البحث إلى رسم خط زمني وثقافي للشعر العربي الفصيح الذي نشأ في عدن وبعض حواضر الجنوب إبان الاحتلال الإنجليزي، منذ العشرينيات وحتى الاستقلال في 30 نوفمبر 1967م. وينطلق من فرضية مفادها أن التجربة الشعرية الوطنية في الجنوب كانت

أبكر وأغزر مما وُصف في الدراسات الأدبية اليمنية ذات المنظور الموحد، خصوصًا دراسة د. عبدالعزيز المقالح، وأن خصوصية عدن وحضرموت ولحج - بما تمتعت به من صحافة ونوادٍ وتعليم وحياة مدينية - أسهمت في ولادة شعر وطني صاحب العمل السياسي والنقابي، وسبق الكفاح المسلح ثم واكبه. يعتمد البحث منهجًا تاريخيًا-وصفيًا يقوم على التتبع الزمكاني للنصوص الشعرية الوطنية، مع إبراز البيئات المنتجة لها، والتنبيه إلى الفروق بين عدن بوصفها مستعمرة حديثة، وبين المحميات التي ظل فيها الشعر الشعبي هو السائد. انتهى البحث إلى أن الشعر كان حاضرًا في جميع مراحل النضال الجنوبي: التمهيد الفكري (العشرينيات والأربعينيات)، التصعيد الوطني والقومي (الخمسينيات)، ثم مواكبة الثورة المسلحة والابتهاج بالاستقلال (1963–1967)، وأنه أدى دورًا مزدوجًا في تثبيت الهوية الجنوبية والعربية والإسلامية للبلاد، وفي إعادة تعريف "القضية الجنوبية" داخل الفضاء اليمني والعربي

الكلمات المفتاحية: الشعر الوطني الجنوبي، عدن، حضرموت، الاحتلال الإنجليزي، ثورة 14 أكتوبر، الاستقلال، عبدالعزيز المقالح.

مقدمة

لم يكن حضور الشعر في الجنوب حضورًا تزيينيًا أو احتفاليًا، بل جاء في سياق تشكّل مجتمع مديني حديث في عدن وحضرموت والحوطة، شهد مطابع وصحفًا ونوادٍ أدبية وأحزابًا سياسية واتحادات عمالية منذ مطلع القرن العشرين. في هذا الوسط الجديد، لم يعد الشعر محصورًا في أغراض المديح والغزل، بل تحوّل إلى خطاب مقاومة ضد الوجود الأجنبي، وإلى أداة لإيقاظ الحس الوطني والديني والقومي

غير أن أغلب الكتابات التي أرّخت لحركة الشعر اليمني المعاصر أسقطت التقسيم التاريخي - السياسي للشمال على الجنوب، فحجبت بدايات الشعر الوطني الجنوبي في العشرينيات والثلاثينيات، واكتفت بعدن نموذجًا للجنوب كله، بل ووصفت مرحلة 1939–1948 بأنها مرحلة "ضعف وطني" في عدن. هذا البحث يعيد النظر في تلك الصورة، ويثبت - بالنصوص والأسماء والسياق - أن الشعر الوطني الجنوبي كان موجودًا، ومتعدد المنابع، ومتصلًا بتجربة الجنوب السياسية والاجتماعية الخاصة

مدخل

نتتبع بشكل عام رحلة الشعر الوطني المناهض لوجود الاستعمار الإنجليزي في عدن ومناطق الجنوب الأخرى، هذا الشعر العربي الفصيح الذي قيل في عدن وفي بعض حواضر الجنوب، مثل: حضرموت وحوطة لحج حاضرة السلطنة العبدلية، في حين كانت سائر المحميات في معزل عن الثقافة الحديثة والنهضة الأدبية الحديثة والمعاصرة

إلى حد بعيد، ولهذا فقد ساد هناك الشعر الشعبي الذي لم يكن في خطتنا هنا تتبعه

رحلة الشعر الوطني هذه التي سنوثق لها، أو نكتب مدخلًا عنها أو نرسم لها خريطة زمكانية؛ قد انطلقت في عشرينيات القرن العشرين، وسوف يجري تتبعها إلى يوم الاستقلال المجيد في (30 نوفمبر 1967م)

هذا التحديد في بدء الرحلة هو حسب ما وجدنا من نصوص وطنية ناهضت الاحتلال الإنجليزي، ولعل هناك شعرًا وطنيًا قبل هذا التاريخ لم نهتد إليه بعد، مع أن حركة الشعر الحديث في عدن قد سبقت هذا التاريخ، أي حركة الشعر بوجه عام وليس الشعر الوطني الذي نحن بصدد كتابة مدخل إلى دراسته

كان الشعر الحديث رافدًا من روافد الحياة الحضرية الجديدة في عدن وحضرموت وحاضرة لحج إلى جانب روافد أخرى، ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية وتعليمية زخرت بها هذه المرحلة التي نؤرخ للشعر الوطني خلالها

فهناك نشاط سياسي ظهر في عدن وكان منظمًا تمثل بتشكيل الأحزاب أو المكونات السياسية، مثل الجمعية العدنية، ورابطة أبنا الجنوب، والاتحاد العمالي، والجمعية الوطنية وغيرها

وكان لهذه المكونات نشاطها في مناهضة الاحتلال بطرقها المختلفة، وقد تتوج هذا النضال بطرد الاحتلال بعد ثورة مسلحة قادتها الجبهة القومية في المدينة والريف وليس القوى السياسية الأخرى بمنأى عن هذه الثورة تهيئة أو مشاركة، برغم

الاختلافات التي حدثت والصراعات التي نشبت بين القوى الوطنية الجنوبية، وحتى الجبهة القومية فقد تشكلت من عدد من الكيانات السياسية الجنوبية

هذه الأحزاب والمكونات السياسية كان لها نشاطها الثقافي والفكري والإعلامي وغيره

أما فيما يخص النشاط الثقافي والأدبي فقد بدأ يزدهر في عدن مع بداية القرن العشرين تقريبًا على يد عدد من الشعراء والأدباء والمثقفين لأسباب تميزت بها عدن مثلت خلفية لذلك النشاط الثقافي والأدبي وبنية تحتية له؛ وما أن اقتربت الأربعينيات حتى وجدنا ثمة دواوين شعرية تصدر مثل ديوان الشاعر (أحمد السالمي) في عام 1940م ، وديوان علي محمد لقمان (الوتر المغمور) عام 1944م، وديوانه الثاني (أشجان في الليل) عام 1945م، وديوان محمد عبده غانم (على الشاطئ المسحور) عام 1946م، وديوان لطفي جعفر أمان (بقايا نغم) عام 1948م ومسرحية (بجماليون) لعلي محمد لقمان 1948م

وهكذا استمرت عجلة الشعر في السير في الخمسينيات وازدادت سرعتها إلى يوم الاستقلال في 30 نوفمبر 1967م لتبدأ مرحلة جديدة في الثقافة والشعر والسياسة وسائر جوانب الحياة مع قيام الدولة الجنوبية الفتية؛ التي كان لها ما لها وعليها ما عليها على المستويات كافة

لقد ظهر شعراء ودواوين خلال الخمسينيات أو خلال المدة التي ذكرناها، وعرفت الساحة عددًا من الشعراء، مثل علي محمد لقمان، ومحمد عبده غانم، ولطفي جعفر أمان، وإدريس حنبلة، ومحمد سعيد جرادة، وعبدالله هادي سبيت، وأحمد الجوهري، وعبدالله فاضل فارع، وعلي عبدالعزيز نصر، ومحمد حسين عوبلي، وآخرون[1].

وحتى على مستوى النثر فقد وجدنا مقالات أدبية ونقدية وسياسية واجتماعية مع ازدهار الصحافة في عدن منذ بداية الأربعينيات باللغة العربية ووجدنا رواية (سعيد) لمحمد على لقمان التي صدرت عام 1939م، و(يوميات مبرشت) لشكيب أرسلان 1948م، وأعمال سردية ونثرية مختلفة مثلت ثمرة من ثمار الطباعة والصحافة والمنتديات الثقافية والأدبية وحركة الترجمة والتعليم وغير ذلك

هذا النشاط الثقافي والأدبي تبلور أيضًا من خلال النوادي التي قامت في عدن في مدنها المختلفة، وقد بدأت في عام 1924م بعد زيارة العالم والأديب عبدالعزيز الثعالبي إلى عدن الذي نصح بإنشاء النوادي الأدبية، فبدأت هذه النوادي بالانتشار، وكثر عددها ومجالات نشاطها، فقد كانت رافدًا من روافد الثقافة والأدب والعمل السياسي والوطني في تلك المرحلة

وهي مثل الآتي:

مخيم أبي الطيب، ونادي الشباب الرياضي في الشيخ عثمان، ومخيم أبي العلاء المعري، وغير ذلك كثير

ولقد صاحب هذا المد الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي نشاط في التأليف؛ خاصة بعد أن ظهرت المطبعة بالحروف العربية، حتى إن أول هذه الكتب قد

(1) ينظر: عدن في عيون الكتاب والشعراء، د. أحمد علي الهمداني، دار الوفاق، عدن، ط١، ٢٠١٥م، ٢١٠.

صـدرت مـع نهايـة القـرن التاسـع عشر[(2)].

بـدأ إصـدار الكتـب يتـوالى في العشرينيـات والثلاثينيـات، وقـد وجدنـا كتبًـا لـعلي محمـد لـقمان مثـل (بمـاذا تقـدم الغربيـون؟) وغيره مـن الكتـب المعروفـة، وهنـاك كتـاب بعنـوان (قامـوس الأمثـال العدنيـة) لعبدالله يعقـوب خـان، وكتـاب الأصنـج (نصيـب عـدن مـن الحركـة الفكريـة)، فـضلًا عـن الدواويـن الشـعرية التـي ذكرناهاـ وهنـاك مؤلفـات غير هـذه ظهـرت في المرحلـة التـي نـدرس الشـعر الوطنـي خلالهـا، وإنمـا هـذا تمهيـد ثقـافي وسـياسي واجتماعـي لموضوعنـا؛ فـضلًا عـن هـذه الأنشـطة في الميادين المختلفـة التـي يشـد بعضهـا بعضـا، لقـد ظهـرت الصحافـة التـي شـجعت على الأدب ونشره شـعرًا ونثرًا، وشـجعت على النشـاط الوطنـي والسـياسي، وهنـاك أيضًـا نشـاط دينـي إصلاحـي تميـزت بـه النـوادي الثقافيـة وحتـى بعـض الصحـف، والمسـاجد وهـي دعـوة إلى الإصلاح السـياسي مـن منطلـق دينـي إسلامـي، في النظـر إلى السياسـة والاجـتماع وغيرهـا

صاحـب ذلـك كما ذكـرت تطـور ونشـاط حضاري واقتصادي فقـد شـهدت عـدن البنـاء، والتعـمير، وظهـور الخدمـات وتطورهـا مثـل الكهربـاء والميـاه والصرف الصحـي وخدمـة الهاتـف وتعبيـد الطرقـات والخدمـات الصحية والطبيـة وغيرهـا، ونشـطت زراعـة القُطـن في أبين ثـم في لحـج وحركـة تصديـره

كل هـذا كان تربـة خصبـة وحاضنـة للشـعر الـذي قيـل في هـذه الـفترة، وقـد كان شـعرًا جديـدًا في تلـك المرحلـة لاسـيما مـن ناحيـة مضامينـه وموضوعاتـه واهتماماتـه

أمـا مـا يخـص الشـعر الوطنـي في الجنـوب الـذي ناهـض الاحـتلال الإنجليـزي، فقـد وجدنا أول نصوصـه في العشرينيـات على يـد الشـاعر أحمـد عـوض العبـادي، وهـو رجـل إصلاح دينـي، وقـد انطلـق في مناهضـة الاسـتعمار مـن هـذا المنطلـق الإسلامـي، وبمـا أنـه أول نـص حسـب علمنـا؛ فنحـن سـوف نثبتـه هنـا وإلا فـإن منهجنـا رصـد تلـك الأشـعار وليـس إثبـات نصوصهـا أو تحليلهـا فنيًـا وموضوعيًـا؛ لأن الدراسـة الفنيـة والموضوعيـة سـيكون لهـا وقفـة أخـرى؛ ولكننـا سـنشير إلى أبـرز الأفـكار التـي هيمنـت على تلـك الأشـعار

يقول العبادي ـ رحمه الله:

يا اباة الضيم يا أهل الفخار
يا ليوثا همهم حفظ الذمار
إن يسدنا غيرنا يا قوم عار
كيف نرضى أن يسدنا أجنبي[(3)]

فهـذا موقـف وطنـي وقومـي وإسلامـي مـن الحكـم الأجنبـي

وعندمـا نتحـرك قدمـا في التاريـخ نجـد هـذا النـص للشـيخ عبدالمجيـد الأصنـج في أواخـر العشرينيـات يصـب في الميـدان الوطنـي ملحًـا على اسـتقلال الجنـوب، جـاء في مطلعـه

يا أباة الضيم يا أهل الفخار
يا ليوث همهم حفظ الذمار
إن يسدنا غيرنا يا قوم عار
كيف نرضى أن يسدنا أجنبي[(4)]

أمـا علي أحمـد باكـثير الشـاعر الحضرمـي

(2) ينظر: م ن، ١٩٦.
(3) نصيـب عـدن مـن الحركـة الفكريـة الحديثـة، أحمـد محمـد سـعيد الأصنـج، مطبعـة النـوري، القاهـرة ١٩٣٤م، ٦٣.
(4) م ن، ٦٠.

المخضرم فقد جاء من حضرموت، وبقي في عدن مدة قصيرة، قبل أن يشد الرحال إلى مصر، ويكمل بقية حياته هناك، وجدنا لباكثير في بداية الأربعينيات نصًا يفخر فيه بانتمائه إلى نادي الإصلاح في الشيخ عثمان، ويشير إلى أن هذا النادي هو لبنة في صرح الانعتاق والاستقلال لوطنه، وقد خاطب في هذا النص القصير الاستعمار الإنجليزي[(5)].

وفي كتاب د عبدالعزيز المقالح ـ رحمه الله ـ (الأبعاد الفنية والموضوعية لحركة الشعر المعاصر في اليمن) تناول الشعر في عدن في تلك الفترة، ولكن حسب تقسيمه هو للمراحل؛ لأن ذلك التقسيم الذي اتبعه كان منسجما مع التقسيم التاريخي والأدبي والشعري في المملكة المتوكلية اليمنية، ولكنه أسقطه على عدن والجنوب، ولم يتناول أي شعر في الجنوب عدا الشعر الذي في عدن، وإشارات قليلة جدا إلى بعض الشعر في حضرموت، خلال مراحل دراسته الأربع

لقد كانت مرحلة الشعر الأولى عنده ما بين (1939م 1948م)، والمرحلة الثانية ما بين (1948م - 1955م)، والمرحلة الثالثة كانت ما بين (1955م - 1962م)، ومن ثم المرحلة الرابعة من عام (1962م إلى العام الذي كتب فيه رسالته الماجستير، وهو عام 1973م)، وهذا التقسيم منسجم مع واقع الشمال(اليمن) الأدبي والتاريخي ولا ينسجم مع واقع عدن الأدبي والشعري والتاريخي، وقد أشرنا إلى ذلك في أكثر من مرة، وقد ذكرت ذلك في بعض كتبي[(6)].

بيد أن المقالح لم يتطرق إلى مرحلة العشرينيات أو الثلاثينيات في الشعر في اليمن بشكل عام، فهو يرى أن الشعر الجديد أو الحديث الذي يستحق الدرس بدأ عام 1939م عندما بدأت بالإصدار (مجلة الحكمة)، وعندما بدأ الشعر يقاوم الإمامة في صنعاء، فعدَّ هذا مقياسًا ولم يتطرق للشعر قبل هذا التاريخ، وهناك من اعترض على هذا التقسيم وهذه الرؤية النقدية

ذهب المقالح إلى أن الشعر الوطني في الجنوب أو في عدن خاصة خلال المرحلة الأولى (1939م إلى 1948م) كان ضعيفًا جدًّا، بيد أننا وجدنا شعرًا وطنيًا في عدن خلال تلك المدة وما قبلها، وقد أشرنا إلى هذا الشعر في موطن سابق من هذه الدراسة، وأشار المقالح إلى أن بعض الشعراء في حضرموت قد مدحوا الإمام يحيى، كما فعل ذلك أيضا الشاعران ابنا الأصنج في عدن؛ وكأن مديح الإمام لا ينسجم مع أي اتجاه وطني شمالي أو جنوبي، فلقد وجدنا بعض الشعراء في الشمال والجنوب مدحوا الإمام ولكنهم كانوا يدعون إلى إصلاح الأوضاع والاهتمام بالعباد والبلاد، وبعض الشعراء ناشدوا الإمام بأن يسعى لتحرير الجنوب، ويُعدُّ هذا شعرًا وطنيًا سواء كان هذا للجرادة أو للبردوني أو لغيرهما؛ لقد تعسف المقالح في مثل هذه الرؤية النقدية للشعر الوطني، وفي تحديد تاريخ انطلاقه

ذكر أيضًا أن هذه المرحلة في عدن شهدت قمعًا للحريات؛ وهذا كلام مخالف للصواب فالاحتلال الإنجليزي أعطى هامشًا للديمقراطية، فليس من مصلحته القمع

(5) م ن، ٦٣.
(6) ينظر: قراءات في شعر عبدالعزيز المقالح، د. عبده يحيى الدباني، ١٠٧ وما بعدها(قيد الطبع).

الفكري والثقافي والسياسي الشديد والمباشر؛ فقد نشأت المنتديات الثقافية والأدبية وظهرت الدواوين والمؤلفات وازدهرت الصحافة الأهلية، ونشأت الكيانات السياسية والنقابية وغير ذلك، وهذا لا يعني أن الإنجليز كان يصمت عن أي تحرك وطني أو سياسي خطير ضد وجوده ولكنه لم يكن بذلك القمع الذي ساد في الشمال من قبل نظام الإمامة المتخلف

وهكذا في هذه المرحلة ذكر المقالح قصيدة طويلة لمحمد عبده غانم كُتبت في الأربعينيات عنوانها(قصة الأمواج)[7]، وقصيدة غانم موجودة في ديوانه (على الشاطئ المسحور) هذه القصيدة تاريخية، وقد عُرف غانم بهذا النوع من الشعر التاريخي فله مسرحية شعرية تاريخية بعنوان (سيف بن ذي يزن)

تُعدُّ قصيدة الأمواج استعراضًا تاريخيًا لمقاومة الشعب في اليمن عبر التاريخ للدخلاء والغزاة من فرس وأحباش وأتراك وغيرهم، وهذه القصيدة لا تخلو من الرمزية الوطنية وإن كان موضوعها تاريخيًا، فكثيرًا ما استخدم الأدب التاريخي من أجل تنوير الحاضر، وخدمته، عن طريق بعث مجد الماضي

وفي المرحلة نفسها ذكر المقالح قصيدة لعلي محمد لقمان، وهي أربعينية المولد موجودة في ديوانه الأول (الوتر المغمور)، فيها مناجاة ومحبة وحنين... عنوانها (عدن) لكنها كانت قصيدة وطنية تتغنى جزء منها، وهذه القصيدة العدنية حيًا بعدن بروح وطنية، وفيها عتاب للعرب على تركهم عدن تعاني ما تعاني من الاحتلال[8].

وهذه تُعدُّ من بواكر الشعر الوطني وإن كانت على استحياء، وهناك قصيدة أخرى للقمان أيضًا ذكرها المقالح في كتابه[9]، وهي في ديوان لقمان (أشجان في الليل) الذي صدر في الأربعينيات، وهذه كانت أكثر وضوحًا وقربًا من الجانب الوطني المباشر وعنوانها (قصيدة بلا حجاب) فقد خطا الشاعر فيها خطوة متقدمة في مسيرة الشعر الوطني، ففيها نداء للوطن الجريح، وفيها تنوير وصحوة ودعوة إلى النهوض واليقظة

والحق أنَّ هناك قصائد ومقطوعات لشعراء من عدن قيلت في مجال الوطنية، ومناهضة للاحتلال، لم يذكرها المقالح، سنذكرها نحن في صفحات قادمة، ولكننا حرصنا على تتبع ما ذكره المقالح عن الشعر الوطني في عدن؛ حتى نعلق على تناوله لبعض هذه القصائد، وأيضًا من أجل الأمانة العلمية، فبعض الأشعار اطلعنا عليها في هذا الكتاب فكأنما كان مصدرًا ومرجعًا معًا، إنّ لدى لطفي جعفر أمان مجموعة من القصائد الوطنية سواءً في الأربعينيات أو الخمسينيات أو الستينيات، وحتى عام 1971م عندما توفاه الله في القاهرة رحمه الله، ولكن المقالح ذكر بعضًا منها مثل قصيدة: (حامي الضمير)[10]، وهي من ديوان (ليلٌ إلى متى) ورد في كتاب المقالح

(7) الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن، عبدالعزيز المقالح، دار العودة بيروت، ط٢، ١٩٧٨م، ٦٧.
(8) م ن، ٦٧ _ ٦٨.
(9) م ن، ٦٩.
(10) م ن، ٦٩ _ ٧٠. وينظر: لطفي جعفر أمان، الأعمال الكاملة، ص ٩٣.

بهـا الشـاعر صحيفـة (صـوت اليمـن) التـي انطلقـت مـن عـدن لما كان لعـدن مـن أهميـة في مقاومـة أو مناهضـة نظـام الأئمـة في الـشمال، فقـد كان يلجـأ الأحـرار اليمنيـون إلى عـدن وينطلقـون منهـا، في مقاومـة النظـام الـسلالي الـذي يخيـم على بلادهـم، فتأسسـت مجلـة صـوت اليمـن في عـدن وحياهـا لطفـي أمـان بقصيـدة عنوانهـا (حامـي الضـمير)، و كان هـذا في الأربعينيـات. بيـد أن المقالـح ظلـم هـذه القصيـدة وصاحبهـا، ورأى فيهـا مسـحة رومانسـية، وجماليـة شـعرية لا ينبغـي أن توجـد في الشـعر الوطنـي في عرفـه النقـدي، فقـد قـارن بينهـا وبين قصائـد الـزبيري التـي كانـت تصـف الظلـم وتقاومـه بشـكل مبـاشر وتقريـري، ولا أرى أن المقالـح - رحمـه اللـه - كان موفقًـا إذ قـدم مبـاشرة الـزبيري على جماليـة شـعر لطفـي، فـكل منـهما ينتمـي إلى مدرسـة، وإلى منـاخ أدبي وسـياسي مختلـف، فلطفـي عـاش في عـدن، وهـو شـاعر رومـانسي، ومـع هـذا فإنـه قـد اسـتعرضَ في القصيـدة الظلـمَ الـذي كان يعيشـه شـعب الـشمال والهـوان والتخلـف في ظـل نظـام الأئمـة، وكانـت هـذه مسـاهمة منـه في رفـع الظلـم عـن شـعب الـشمال، و لكنهـا كانـت بطريقتـه الشـعرية المميـزة ولقـد كانـت واضحـة وشـفافة، على الرغـم مـن تميزهـا بالجماليـة والفنيـة، ولم تكـن تقريريـة مبـاشرة وخطابيـة، كما كانـت قصائـد الـزبيري الوطنيـة التـي أشـاد بهـا المقالـح

في نهايـة هـذه المرحلـة، التـي حددهـا المقالـح في كتابـه سـابق الذكـر، نجـد قصيـدة لمحمـد حـسين عـوبلي، وهـو شـاعر مـن عـدن، يذكـر فيهـا مأسـاة مصرع ثـورة 1948م في صنعـاء على يـد الإمـام[(11)]، وتُعـدُّ شـعرًا وطنيًـا أو مسـاهمة مـن شـعراء الجنـوب في دعـم تحريـر الـشمال مـن النظـام الكهنـوتي الطائفـي، كما يفعـل الجنوبيـون مـن المثقـفين والشـعراء عـادةً

وذكـر المؤلـف قصيـدة أخـرى لمحمـد سـعيد جـرادة عبرت عـن مصرع الانـقلاب أو الثـورة في الـشمال عـام 1948م[(12)]، وأشـار إلى مـا حـدث في تلـك الأيـام المأسـاوية التـي صورهـا الأدب شـعرًا و نثرًا، مـع أن الجـرادة نفسـه في وقـت آخـر مـدح الإمـام أحمـد، و لكنـه ناشـده أو لفـت نظـره لما يحـدث في الجنـوب مـن احتلال و اسـتغلال و غير ذلـك

ولم يقـتصر الشـعر الوطنـي في الأربعينيـات على مـا ذكرنـاه فهنـاك نصـوص أخـرى بعضهـا لشـعراء قـد مـروا بنـا؛ ففـي كتـاب (عـدن في عيـون الشـعراء والكتـاب) للدكتـور أحمـد علي الهمـداني، نجـد قصائـد مـن ديـوان الشـاعر علي محمـد لـقمان (الوتـر المغمـور) يتغنـى فيهـا بعـدن، ويصـف الأحـوال والأوضـاع في عـدن خلال الأربعينيـات، وكان يذكـر الدجـل باسـم الديـن، وشـيوع الخزعـبلات في الثقافـة ويدعـو إلى التنويـر والتثويـر[(13)]، وفي قصائـد أخـرى يخاطـب بهـا نـاس عـدن يحثهـم على النهـوض والتحـرك والاعـتماد على النفـس وأن يكونـوا سـادة أرضهـم، وغير ذلـك مـن المعـاني الحديثـة، وهنـاك قصيـدة عنوانهـا (يـا بلادي)

(11) () الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن، ١٦٦ _ ١٦٧.
(12) () م ن، ١٦٧.
(13) () عدن في عيون الكتاب والشعراء، ٤٠٢..

في كتاب الهمداني فيها تنوير وطني ودعوة لمواكبة العصر[(14)]، وقصيدة أخرى يخاطب بها بني عدن، فيها نفس الروح الوطنية والاستنهاض للحاق بركب الشعوب وقصائد أخرى فيها نفس وطني وتنويري ونهضوي، يقترب من الثورة التحررية الشاملة[(15)].

وإذا ما اتجهنا إلى حضرموت وحواضرها فإننا نجد هناك أمةً تريد الخلاص من الاستعمار ومن الكيانات السياسية المرتبطة به، فقد بدأت المعاهدات بين من يحكم حضرموت، وبين الاستعمار في 1882م فكان صوت الشعر الوطني هناك حاضرًا[(16)].

فهذا الشاعر عبدالرحمن عبدالله السقاف، يرفض وصاية الاستعمار على أرضه مستنكرًا إياها موصيًا الحكام المحليين على الخروج من هذا الطوق الذي قيدهم به الاحتلال، وكيف أنهم خدعوا بحيل الاستعمار المعهودة[(17)].

هذه القصائد الوطنية الحضرمية موجودة في كتاب زميلنا أحمد باحارثة، عن الشعر الوطني في حضرموت في عهد الاستعمار، وفي عهد دولة الجنوب السابقة، فالفضل يعود إليه في توثيق هذا الشعر ودراسته

كذلك لدينا الشاعر محمد سالم بن حفيظ وجدناه في شعره يرفض الخضوع للاحتلال، ويخاطب الحكام بأنهم قد انشغلوا عن النضال من أجل الاستقلال من الاحتلال الأجنبي بأمور ملكهم وأولادهم وأمورهم الخاصة[(18)].

إن الشاعر الحضرمي يبدو أكثر حدة وحساسية في رفض الدخيل، وفي مقارعة الاحتلال وكراهة أن يراه على أرضه، فهو لا يعرف المساومة في هذا الجانب، ولعله قد دخل في مرحلة المواجهة منذ البداية

و هناك شاعر مجهول كتبَ أو قال شعره باسم رمزي مستعار إذ سمى نفسه (أبو زيد)، وهذا الاسم فيه روح المقاومة والقوة، وقرر أن الجهاد هو السبيل إلى العزة والكرامة، وقد نظر إلى القضية من وجهة نظر إسلامية ودينية في مقاومة الاحتلال الأجنبي لبلادنا[(19)]، فهذه الشواهد هي أمثلة عن الشعر في حضرموت خلال مدة الأربعينيات كما ستصادفنا نصوص أخرى خلال الخمسينيات وهكذا حتى يوم الاستقلال الوطني للجنوب

وقبل أن نطوي صفحة الشعر الوطني في الأربعينيات نشير إلى قصيدة للشاعر إدريس حنبلة تُعدُّ من بواكير شعره الوطني، والشعر الوطني في عدن بوجه عام، قالها الشاعر عام 1943م، حين استفزه منظر احتفاء بعضهم بالعلم الإنجليزي، علم الاحتلال، وقد كانت القصيدة بعنوان(علم الاحتلال)، عمد الشاعر إلى رفض هذا العلم على أرضه وسخر من الذين يحتفون به

(14) م ن، ٤٠٧.
(15) ينظر: م ن، ٤٠٨ وما بعدها.
(16) ينظر: الشعر الوطني والسياسي في حضرموت، د. أحمد باحارثة، دار الوجيه للدراسات والنشر، غيل باوزير ٢٠١٤م، ٩٠.
(17) م ن، ٩٠.
(18) م ن، ٩٤.
(19) م ن، ٩٥.

مـن أبنـاء جلدتـه[(20)].

وإذا مـا انتقلنـا إلى عهـد الخمسـينيات في تتبـع الشـعر الوطنـي الجنـوبي في عـدن خاصـةً وحضرمـوت وعاصمـة الدولـة العبدليـة الحوطـة لحـج سـنجد في كتـاب المقالـح آنـف الذكـر أنـه يذكـر بعـض هـذه الأشـعار الوطنيـة جنوبًـا ولكـن هنـاك نصوصًـا أخـرى لم يذكرهـا سـوف نتناولهـا في هـذه الدراسـة كما فعلنـا بالشـعر الوطنـي الـذي يخـص مرحلـة أو عقـد الأربعينيـات ومـا قبلـه.

فهنـاك قصيـدة لعبداللـه هـادي سـبيت عُـدَّت مـن الشـعر الوطنـي في الخمسـينيات قـرر المقالـح بأنهـا بدايـة جديـدة للقصيـدة الوطنيـة، وهـذا الـرأي فيـه نظـر؛ لأنـه قـد سـبقتها أشـعار وطنيـة مختلفـة، هـذه القصيـدة فيهـا الجـرأة على التنديـد بالظلـم الاسـتعماري والعبوديـة السياسـية، وتدعـو إلى الـخلاص وفـرض الحريـة عـن طريـق الثـورة وقـد عـدَّ المقالـح أنهـا ضـد الإمـام والاسـتعمار معًـا؛ لأن الشـاعر لم يشر إلى اسـم الاحـتلال أو صفتـه ولا إلى الحـكام المحليين ولا إلى الإمامـة ولكـن كنـى عـن ذلـك بكلمـة (الـغير) والـغير هنـا توحـي بالاسـتعمار الإنجليـزي، لكـن المقالـح أراد أن تشـمل الاسـتعمار والأئمـة معًـا حتـى يعطـي للقصيـدة طابعًـا يمنيًـا عامًـا، أو مـا يسـمى بالحركـة الوطنيـة التحرريـة اليمنيـة التـي سـعى المؤرخـون الشماليـون إلى التعسـف في توحيـد هـذه الحركـة الوطنيـة في الـشمال الجنـوب، وجعلهـا حركـة واحـدة على الرغـم مـن الخصوصيـة والتميـز والفـروق الكـبيرة بين الحركـتين مـع بعـض وجـوه التعـاون بينـهما ووجـود بعـض التواصـل والأمـور المشتركـة حتـى مـع الثـورات العربيـة في مصر والجزائـر

هـذه القصيـدة السـبيتية يطالـب فيهـا الشـاعر بالحقـوق[(21)] ودائمًـا مـا يذكـر سـبيت مسـألة الحقـوق المسـلوبة؛ وهـذه الحقـوق تشـمل الحقـوق الوطنيـة السياسـية والحقـوق الاقتصاديـة والاجتماعيـة والنقابيـة والإنسـانية وغيرهـا

وفي منتصـف الخمسـينيات صـدر ديـوان صـغير عنوانـه (تحيـة التـاج)، والتـاج هنـا هـو التـاج البريطـاني، وهـو منجـز شـعري سـواء اختلفنـا معـه أو اتفقنـا مـن الناحيـة الوطنيـة، وقـد ضـمَّ قصائـد في مـدح الملكـة الإنجليزيـة، وشـارك فيـه عـدد مـن الشـعراء في عـدن، وهـؤلاء الشـعراء أنفسـهم هـم الذيـن كتبـوا الشـعر الوطنـي، سـواءً مـن قبـل أو مـن بعـد، ومـع هـذا ففـي لحظـة معينـة مدحـوا التـاج أو الملكـة البريطانيـة؛ لأسـباب تخصّهـم أو تخـصُّ مرحلتهـم، عـدَّ د. عبدالعزيـز المقالـح هـذا ضعفًـا وطنيًـا، وفنيًـا، وشـعريًا، حتـى إنـه جعـل قيمـة الشـعر ترتبـط بوطنيتـه، مـع أن الوطنيـة أمـر موضوعـي، وقيمـة الشـعر الفنيـة تكمـن في بنيـة الشـعر وجوانـب الشـكل والتركيـب والصـدق الشـعوري، وقـد عـدَّ هـذا دليـلًا على ضعـف الشـعر الوطنـي في الخمسـينيات في عـدن، وهـذا عكـس مـا سـنبرزه خلال الصفحـات القادمـة مـن وجـود

(20) إدريـس أحمـد حنبلـة، الأعمال الكاملـة، إصـدارات وزارة الثقافـة والسـياحة، صنعـاء، ٢٠٠٤م، ١/ ١٢٧.

(21) الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن، ٢٧٠.

الشـعر الوطنـي في عـدن في هـذه المرحلـة. لعـلَّ هـذه القصائـد التـي للأسـف لم نصـل إليهـا التـي تكـون منهـا ديـوان (تحيـة التـاج) لم تخـل مـن الـروح الوطنيـة بطريقـه مـا، مثـل المطالبـة بالحقـوق، أو شرح معانـاة النـاس أو الدعـوة إلى إصلاح الأوضـاع وغيرهـا، ولا نجـزم بذلـك؛ لأنَّـا لم نطلـع عليهـا، أو لم نتمكـن مـن ذلـك، ولكـن الشـعراء أو المصلـحين يمـرون بمراحـل إلى أن يصلـوا إلى الثـورة و المواجهـة، وهـذا نفسـه مـا حصـل في الـشمال على يـد الـزبيري وشـعراء آخريـن، مـروا بمرحلـة الدعـوة إلى الإصلاح ومدحـوا الأئمـة، وكان هـذا لا يخلـو مـن الشـعر الوطنـي، أو مـن الشـعور الوطنـي، والرغبـة في التجديـد والإصلاح، ولكـن مـن خلال النظـام الحاكـم نفسـه، لكـنَّ المقالـح رحمـه اللـه ألغـى التطـرق في دراسـته إلى هـذا الشـعر الـذي قيـل في الخمسـينيات في مـدح الملكـة في عـدن، أو ذلـك الشـعر الـذي قيـل في الـشمال في الأئمـة مديحًـا وثنـاءً، على مـا فيـه مـن دعـوة مبطنـة إلى ضرورة إصلاح الأوضـاع، وحتـى الـزبيري نفسـه أسـمى تلـك الأشـعار التـي مـدح بهـا الأئمـة بالوثنيـات ولعلهـا كانـت مـدخلًا إلى الوطنيـات، ويبـدو أنهـا غير موجـودة في أعمالـه الكاملـة، برغـم أنهـا ذات قيمـة تاريخيـة وفنيـة. لهـذا رأى المقالـح أن الشـعر في هـذه المرحلـة مرحلـة الخمسـينيات، حسـب تقسـيمه للمراحـل (المرحلـة الثانيـة مـن 48_55).

وهكـذا قـرر د. عبدالعزيـز المقالـح أن الشـعر الوطنـي في الجنـوب قـد ضَعُـفَ، واسـتدل على ذلـك بوجـود ديـوان (تحيـة التـاج)، هـذا لأنـه جمـع بين الوضـعين في الـشمال وفي الجنـوب، مـع إن كل بلـد كانـت لـه ظروفـه سياسـيًا واجتماعيًـا وثقافيًـا واقتصاديًـا وغيرهـا، لقـد جمـع بين الوضـع في عـدن والمملكـة المتوكليـة اليمنيـة، حتـى إنـه لم يذكـر بقيـة المحميـات الغربيـة والشرقيـة؛ لأنـه لم يكـن هنـاك شـعراء فصيحـون، فجعـل عـدن كأنهـا الجنـوب كلـه، وهـي تشـكل جـزءًا مـهمًا مـن الجنـوب، ولكنهـا ليسـت كل الجنـوب، حتـى الاسـتعمار نفسـه فقـد عـزل المناطـق الداخليـة، وميّـز عـدن عنهـا لأنهـا مسـتعمرة وأنشـأ فيهـا خدمـات مختلفـة وغير ذلـك، فالوضـع يختلـف بين عـدن والـشمال، وبين وضـع عـدن ووضـع المناطـق الجنوبيـة الأخـرى، مـن المحميـات الشرقيـة والغربيـة، مـن هـذه الزاويـة رأي ذلـك الضعـف؛ لأنـه جمـع بين واقـعين مختلـفين، وكان يسـمي الجنـوب بالشـطر الجنـوبي مـن الوطـن، وهـذه التسـمية لم تكـن موجـودة قبـل الاسـتقلال، وقبـل حكـم النظـام الاشتراكي في الجنـوب

وفي الخمسـينيات أيضًـا وجـد شـعر وطنـي كـثير في عـدن، وقـد ذكـر المقالـح عندمـا تنـاول المرحلـة الثالثـة حسـب تقسـيمه مـن ١٩٥٥ إلى١٩٦٢م بعضًـا مـن هـذا الشـعر

ذكـر المقالـح أن هنـاك شـاعرين وطنـيين في عـدن في تلـك الـفترة، وهما إدريـس حنبلـة ومحمـد سـعيد جـرادة، وفي الحقيقـة أننـا نجـد شـعراء آخريـن؛ قـد يكـون هـذان الشـاعران في طليعـة الشـعراء في الخمسـينيات في كتابـة الشـعر الوطنـي عـلمًا بأننـا لم نجـد لـهما شـعرًا وطنيًـا وافـرًا في المراحـل السـابقة رغـم

وجـودهما شـاعرين في مقتبـل العمـر الأدبي

أشـار المقالـح إلى قصيـدة للجـرادة مـن كتابـه المذكـور[(22)]، وهي قصيـدة ثورية نضاليـة وطنية تشـيد بشـباب الجنـوب الثائـريين، وكان فيهـا هجـوم واضـح على الاسـتعمار وإشـادة بالمقاومـة المسـلحة في الجنـوب، وكان هـذا في منتصـف الخمسـينيات، وعنـوان القصيـدة هـو (أفلاذ الجنـوب تجمعـوا)، لكـن المقالـح أخفـى عنوانهـا ولم يذكـر أن القصيـدة تحمـل هـذا العنـوان مـع أنـه في بقيـة القصائـد كان يذكـر العنـوان عندمـا يـشير إليهـا أو يحللهـا، فيبـدو أنـه تحـاشى كلمـة الجنـوب الموجـودة في العنـوان؛ حتـى لا يتـم ترسـيخ اسـم الجنـوب بوصفـه وطنًـا مسـتقلًا وهويـةً سياسـيةً مسـتقلةً. لكنـه لم يسـتطع أن يطمـس كلمـة الجنـوب المبثوثـة خلال النـص

وهذه أبيات من القصيدة:

أفلاذ أكبـاد الجنـوب تجمعـو فرقًـا كأسراب الطيـور الحـوّمِ

فـوق الجبـال وفي الكهـوف وحيـث لا ترقـى إليهـم عين وغـدٍ مجـرمِ

سـكتوا وأرسـلت البنـادق منطقًـ جيشًـا كأمـواج الخضـم المرتمـي

وأتتـه أسـباب المنيـة مـن عـلٍ مـن حيـث لم يشـعر بهـا أو يعلـمِ

أرضي وفيهـا طعنـة مسـمومة تدمـي فـؤاد الشـاعر المتـألمِ

فيهـا القراصنـة اللئـام صلاتهـم بشريعـة الغابـات لم تـتصرمِ

يعكـس هـذا النـصُّ القـصير التصميـم على الثـورة والثقـة بشـباب الجنـوب ورجالـه ورفـض مطلـق للدخيـل المحتل

وهنـاك قصيـدة أخـرى للجـرادة أيضًـا في الصفحـة نفسـها؛ كشـف فيهـا الشـاعر عـن سياسـة الاسـتعمار وأسـاليبه ونهبـه لثروات الجنـوب، وفيهـا تهديـد للاحـتلال بالثـورة مطلعهـا

أرى عدنًا تغلي من الحقد مرجلًا ويوشك أن يجتاحها أي تيارِ[(٢٣)]

وهـي القصيـدة التـي مـدح بهـا الإمـام أحمـد ودعـا فيهـا الإمـام إلى التحـرك في سـبيل تحريـر الجنـوب؛ ومسـاعدة أهلـه في التحـرر والاسـتقلال

وكـذا رصـد المؤلـف في هـذه المرحلـة قصيـدة للشـاعر إدريـس حنبلـة التـي عنوانهـا (صـوت الضـمير)[(24)] وهـذه القصيـدة شـهيرة ومعروفـة وقـد كانـت تُـدرّس في المقـرر الـدراسي في عهـد النظـام الاشتراكي في الجنـوب؛ وفيهـا هجـوم على الاحـتلال الإنجليـزي وأعوانـه، وفيهـا إدانـة للذيـن

(22) م ن، ٢٤١.
(23) م ن، ٢٤١.
(24) م ن، ٢٤٢. والأعمال الكاملة للشاعر، ١/ ٩٨.

تماهوا مع الاحتلال، ووقعوا على شروطه في مسألة ضم عدن إلى إمارات الجنوب. ولكن لإدريس حنبلة أشعارًا كثيرةً في الخمسينيات وما بعدها غير التي ذكر المقالح رحمه الله تعالى، سنشير إليها في مكانها

وفي الخمسينيات هذه المحطة المهمة نفسها من محطات الشعر الوطني، نجد شاعرًا فارسًا فروسيًا تألق في هذا الجانب، شاعرًا فدائيًا في شعره، وفي مواقفه كان صوتًا شعريًا على مستوى الدولة العبدلية وعلى مستوى الجنوب وعلى المستوى العربي القومي، فقد وجدنا له شعرًا في ثورة مصر، وشعرًا في ثورة الجزائر، وكان مفرط الحساسية أمام القضايا الوطنية، والإسلامية والقومية، وحتى في ما يخص قضايا الأفراد ومطالبهم، وقد ذكرنا هذا الشاعر من قبل حينما ذكرنا أن المقالح قد اختار له نصًا وطنيًا في مرحلة الخمسينيات، ها نحنُ أمام هذا الشاعر من جديد ألا وهو عبدالله هادي سبيت، الشاعر المناضل الفنان. فمن أشعاره الوطنية في الخمسينيات التي اصطبغَ بعضها بالبعد القومي العربي، أولًا وجدنا شعرًا لسبيت في الثورة المصرية، ومن ثم في الثورة الجزائرية، ليس مجرد نص أو نصين ولكنها نصوص، فقصيدة (يا شاكي السلاح) الشهيرة، كانت مناسبتها تأييد الثورة الجزائرية، ولكنها أيضًا تمس الجانب الوطني في الجنوب الذي يعاني من الاستعمار، فقد عُدت من ضمن الشعر الوطني في عدن

نمضي مع الشاعر سُبيت في رحلته الشعرية الوطنية، التي بدأت في أواخر الأربعينيات تقريبًا، وتصاعدَ مدّها، فإذا بنا في أثناء العدوان الثلاثي على مصر وجدناه يصدح بأشعاره القومية، فقد قال هذا البيت لكل العرب:

كل العرب لليافعي يوم القتال

كل العرب صاحت يحيا جمال

ويقصد باليافعي الرئيس الزعيم جمال عبدالناصر رحمه الله، لقد جعل جمالًا يافعيًا، فيبدو أنه يقصد أن جمال عبدالناصر هو من أصول يمنية، من قبائل يافع التي فتحت مصر، أو شاركت في فتح مصر، وبقيت هناك، ولا ندري بالضبط ما حقيقة هذه المعلومة التاريخية

وهكذا نجد هذه القصائد الوطنية لسُبيت من مثل «أيها القانع بالعيش القليل»، قصيدة عينية يحث الناس فيها على الثورة، وهناك قصيدة «يا رجال تقدموا»، في منتصف الخمسينيات، وقد أوردها المقالح في كتابه المذكور، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل، وهناك قصيدة دالية أخرى، يصف فيها حبه لوطنه المعذب والأسير ويذكر الأصفاد، وهناك قصيدة سينية يخاطب بها وطنه، ويعبر عن رفضه للظلم مهما كان خارجيًا أو داخليًا، معبرًا عن مدى إخلاصه لوطنه، وبعد أن نصح الشاعر الحكام، ولم يسمعوا، لجأ إلى الصمت مدة من الزمن، ولكنه كتب قصائد أخرى يخاطب بها وطنه، ويتغنى به ويستفديه بدمه، وهذا يُعدُّ شعرًا وطنيًا، وإن لم يكن صريحًا ولا ثوريًا، فبعد أن وجد الشاعر عدم التجاوب والتفاعل مع دعواته ذهب يخاطب الوطن والشعب

وبعد ذلك في الخمسينات نفسها، يعود

إلى إنتاج قصائدهِ الحارة التحررية، ويواصل أيضًا رؤيته الإسلامية الثورية في المطالبة بالحقوق، وعمومًا فإن شعر سُبيت الوطني يستحق الدراسة المستقلة. وهناك قصيدة ميمية يخاطب فيها الناس للخروج على الظلم، ويعبر عن استيائه من خضوع الناس للاستعمار، وفي قصيدة أخرى يندفع بنفسه إلى الثورة ويدفع الآخرين إلى ذلك، ولم يعد يصدق الوعود والعهود من قبل أعوان الاستعمار وذلك في القصيدة النونية، وهناك قصائد أخرى وطنية وقومية حفل بها شعر سُبيت نجدها في أعماله، ولكن لم تحظ بحقها من الاهتمام والنقد، سواء شعره الوطني أو غير الوطني، ويبدو أن صفة الشعر الغنائي غلبت على التعريف بهذا الشاعر؛ لأنه مع كل هذا شاعر غنائي فريد وله ما يقارب 100 قصيدة وأغنية عاطفية. رحم الله سبيتًا

وننتقل من حوطة لحج من رحاب الشاعر الكبير عبدالله هادي سُبيت إلى حضرموت، إلى الشعر الوطني فيها خلال ظل الخمسينيات من القرن الماضي، إذ يشير د. أحمد باحارثة إلى أنه مع قيام الثورات العربية وانتصارها، ووصول الوعي الثوري والأفكار القومية إلى عدن ومحميات الجنوب ومنها حضرموت، فإن كل ذلك تمخض عن شعر وطني جديد في حضرموت، فقد واكب الشاعر الحضرمي هذه المرحلة وطنيًّا وثوريًّا، فظهرَ شعرٌ وطني هناك يختلف عن الشعر الذي ذكرناه من قبل في الأربعينيات. فهذا الشاعر سالم زين باحميد، في قصيدة «نداء للشعب» في حضرموت يدعوه لكي ينهض لمقاومة الاحتلال[25].

لقد أتى جيل جديد صاعد لا يخشى ردود أفعال الاحتلال، وقد أشرت من قبل إلى حساسية الشاعر الحضرمي تجاه الوطن، وتجاه الظلم والاستبداد؛ فهو يرفض الدخيل بكل أشكاله وألوانه

وهذا شاعر آخر اسمه فائز محمد عبدالعزيز يذكره باحارثة ويذكر شعره الذي صوَّر المظاهرات الرافضة للوجود الإنجليزي في حضرموت، وصوَّر الثورة والنصر قبل أن يتحققا فقد رآهما من خلال هذه الانتفاضات[26]، فالشاعر لمّاح وهو يستشرف المستقبل كما يستشرف الخطر حين يحدق، فالشاعر عادة لا يواكب الأحداث ويصورها فحسب ولكنه غالبًا ما يستشرفها ويدعو إليها ويشارك في صناعتها

أما الشاعر حسن عبدالرحمن بن عُبيد الله السقاف رحمه الله، فهو يهاجم السلاطين نظرًا لمخادعة الشعب بقيام بعض الإصلاحات الشكلية من أجل تهدئة الغليان الشعبي، ويؤكد أن نظام الاحتلال لن يدوم[27].

وإذا ما عدنا إلى عدن، على جناح البحث الأدبي، نتتبع الشعر الوطني الذي قيل في أثناء الخمسينات فضلًا عما ذكرناه سابقًا عندما استعرضنا ما ورد في كتاب المقالح سنجد أمامنا الشاعر إدريس حنبلة، فله ديوان عنوانه من (خلف القضبان)، هذا الديوان ربما صدر في وقت لاحق في الستينيات أو السبعينيات لكن قصائده

(25) الشعر والوطني والسياسي في حضرموت، ١٤٥.
(26) م ن، ١٤٦.
(27) م ن، ١٥.

قيلت في الخمسينيات والأربعينيات وغيرها، أقصد القصائد الوطنية خصوصًا، وقد نشرت حينذاك في الصحف والمجلات، وهو يلوح من عنوانه فالديوان كله ديوان شعر مناضل، وقد قال أكثر هذا الشعر وهو في المعتقلات، وهناك قصائد كثيرة في هذا الديوان ذات طابع وطني كفاحي وثوري. فهناك قصائد مثل (صرخة مدوية) و(العميل)، و(حكومة البيومي)، و(البعث الجديد)، و(معتقل زنجبار)، و(معتقل أحور)، و(معتقل رأس مربط)، و(نحن الجماهير)، و(ثورة وانطلاق)، و(ذكرى اليوم المشؤوم)، و(معركة المصير)، وغيرها[28].

فهذه قصائد وطنية قيلت في الخمسينيات في أثناء الكفاح النقابي والسياسي

وأما ديوان (أغاريد وأهازيج) فقد وجدنا قصائده زخرت بالنفس الوطني الثوري، والديوان معظمه أناشيد ثورية وطنية من مثل (نشيد الوطن)، و(نشيد العروبة)، و(نشيد ردفان)، و(نشيد الشهداء)، و(نشيد الثورة) وغير ذلك، وهناك قصائد وطنية كذلك في ديوان(أجراس الحرية)[29].

وهناك أناشيد أخرى أيام الثورة المسلحة سنذكرها في المرحلة القادمة

ومن قصائد لطفي أمان في الخمسينيات نجد له قصيدته الوطنية «من أنت؟» وهي تصور حوارًا مع أحد عناصر الاستعمار الإنجليزي، فهذا السؤال الاستفزازي وجهه هذا الشخص للشاعر، فرد عليه الشاعر بقصيدة كاملة عنوانها «من أنت؟»[30].

وكذا القصيدة الشهيرة للطفي أمان التي بعنوان (سأنتقم)[31]، وبعضهم يطلق عليها (أخي كبلوني)، وقد كتبت في منتصف الخمسينيات عندما جرى اعتقال المفكر الجنوبي الثائر عبدالله عبدالرزاق باذيب رحمه الله تعالى؛ وهي قصيدة لُحنت وغُنيَت، ولعل هناك للطفي قصائد أخرى وطنية في الخمسينيات

نصادف أيضًا في هذه المرحلة التي مهدت للثورة التي انطلقت في السنوات الأولى من الستينيات الشاعر محمد سعيد جرادة، وقد مررنا بقصائد للجرادة، حين استعرضنا تلك النصوص التي وردت في كتاب المقالح؛ لكن هناك قصائد أخرى لم يشر إليها المؤلف؛ من ضمن تلك القصائد قصيدة (عطلوا الدستور) في الخمسينيات، وقصيدة (يا من خلعنا سلطانكم)[32]، أما قصيدة (أفلاذ الجنوب تجمعوا)، والقصيدة التي مدح فيها الإمام وناشده بأن يساعد على تحرير الجنوب فقد أشرنا إليهما من قبل

ومن الإنصاف أن نشير إلى نصوص لشعراء من الشمال تعاطفوا مع قضية شعب الجنوب الذي كان يرزح تحت نير الاستعمار، فنذكر منهم الزبيري فله شعر قليل في مقاومة الجنوب وقضيته، لقد ذهب تركيزه كله أو جله في مقاومة نظام الأئمة لعله رأى أن للجنوب شعبًا يحميه أو

(28) إدريس حنبلة، الأعمال الكاملة، ديوان: من خلف القضبان، ٩٥ وما بعدها..
(29) ينظر: م ن، ديوان أغاريد وأهازيج، ١٥٧ وما بعدها.
(30) لطفي جعفر أمان، الأعمال الكاملة، ص٣٨٧.
(31) م ن، ص ٢٨٧.
(32) موقع صحيفة ٢٦ سبتمبر

يحـرره؛ حتـى إنـه بعـد مـا وصـل إلى عـدن في منتصـف الأربعينيـات وانشـد قصيـدة (خرجنـا مـن السـجن)، فقـد قـال إنـه قالهـا بمناسـبة الخـروج مـن اليمـن السـجن الكـبير، مـع أنـه وصـل إلى عـدن فاعـتبر خروجـه مـن المملكـة المتوكليـة اليمنيـة خروجًـا مـن اليمـن إلى عـدن، مـع هـذا وجدنـا لـه شـعرًا قليـلًا يذكـر فيـه الإنجليـز وطـول بقائهـم في عـدن، وفي آخـر قصيدتـه الطويلـة التـي عنوانهـا (رثـاء شـعب) التـي رثى بهـا شـعبه في المملكـة المتوكليـة اليمنيـة بعـد فشـل ثـورة 1948م وإعـدام قادتهـا، فقـد رأى أن السـبب كان في عـدم تفاعـل الشـعب مـع الثـورة، وعـدم التفافـه إلى جانبهـا وأن الشـعب هـو الـذي أسـقط تلـك الثـورة التـي قامـت مـن أجلـه نتيجـة الجهـل والتخلـف

فقد جاء في آخر بيتين من القصيدة:

سيان من جاء باسم الشعب يظلمه
أو جاء من "لندنٍ" بالبغي يبغيه
"حجـاح حجـة" باسـم الشـعب أطـردهُ
وعنق «جنبول» باسم الشعب الويه((33))

ولكـن البردوني في حقيقـة الأمـر يُعـدُّ أكثر شـعراء الـشمال تعاطفًـا وتفـاعلًا مـع قضيـة شـعب الجنـوب

وهكـذا وجدنـا البردوني في دواوينـه الأولى مـن (أرض بلقيـس)، و(في طريـق الفجـر)، أي خلال الخمسـينيات يذكـر فيهـا شـعب الجنـوب وقضيتـه داعيًـا إلى تحريـره مـن قبـل أبنـاء شـعبه بمشـاركة العـرب؛ فهنـاك قصيـدة تحـت عنـوان (أنشـودة الجنـوب)((34))، وهـي حماسـية ثوريـة تبـدو مـن عنوانهـا وفيهـا مـن التنويـر والتثويـر والتحريـر مـا فيهـا، وهـي من ديـوان (مـن أرض بلقيـس)، وهنـاك قصيـدة أخـرى لـه عنونهـا (عـودة القائـد) قيلـت في ولي العهـد البـدر عندمـا عـاد مـن الخـارج، وهـي مديـح وثنـاء وترحيـب بالعـودة ولكـن فيهـا حثًّـا على تحريـر الجنـوب وطـرد الاحـتلال منـه((35)).

وهنـاك قصيـدة أخـرى بعنـوان (أخـي يـا شـباب الفـدا في الجنـوب) ضمـن ديـوان (مـن أرض بلقيـس)، كتبهـا قبـل الثـورة في الخمسـينيات، وقـد ذكـر فيهـا الثـورة، وذكـر فيهـا الـجلاء، وحـثَّ الشـباب على الجهـاد الوطنـي رحمـه اللـه((36)).

وقصيـدة أخـرى بعنـوان (عيـد الجلـوس) في ديـوان (في طريـق الفجـر) يوجههـا إلى الإمـام أحمـد بمناسـبة عيـد الجلـوس عـام 1378 للهجـرة، أي في الخمسـينيات فيهـا نقـد صـارخ للأوضـاع في المملكـة المتوكليـة اليمنيـة، ولكنـه لم ينـس شـعب الجنـوب في ظـل الاحـتلال، ودعـا إلى الثـأر في الجنـوب والثـأر لا يعنـي هنـا سـوى الثـورة داعيًـا إلى طـرد الاسـتعمار مـن أرض الجنـوب((37)).

وهنـاك قصيـدة أخـرى عنوانهـا (شمسـان) في ديـوان (في طريـق الفجـر)((38)) يحـثُّ فيهـا شـعب الجنـوب ويعاتبـه على عـدم الثـورة

(33) محمـد محمـود الـزبيري، الأعمال الشـعرية الكاملـة، إصـدارات وزارة الثقافـة والسـياحة، صنعـاء، ٢٠٠٤م، ص ٣١٠.
(34) عبدالله البردوني، الأعمال الكاملة، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م، ٥٩.
(35) م ن، ٧٧.
(36) م ن، ١٩٢.
(37) م ن، ٢٤٦.
(38) م ن، ٣٩١.

ضد الاحتلال، ويصور وضعه المأساوي تحت نير الاستعمار، ويذكره بمجد الأجداد، ويحثُّ صرواح لمؤازرة شمسان لمناهضه الاستعمار الدخيل، أما في قصيدة (نصر النبوة) التي قيلت في مناسبة المولد النبوي، وهي موجودة في ديوان (في طريق الفجر) [39] ففيها خطاب للإمام في المناسبة، وقد استعرض فيها الوضع في الجنوب شعبًا وحكامًا واصفًا فساد الحاكمين داعيًا إلى الثورة متوعدًا الطغاة، وكان يستثير الإمام في سبيل تحرير الجنوب، ولكن الإمام لم يسمح لا بإصلاح نظامه في الشمال ولا العمل على تحرير الجنوب، فقضية الجنوب قضية شعبها، وهي قضية تخصه أولًا وكذلك كانت الثورة، ولكن لا ننسى من دعم الجنوب من الأشقاء في الشمال شعراء ومثقفين وحاكمين وغيرهم في ثورته واستقلاله، وكذلك من الأشقاء العرب مثل مصر عبدالناصر

أما المرحلة الثالثة وفق تقسيمنا لمراحل الشعر الوطني، فهي تلك التي واكب فيها الشعر مسيرة الثورة المسلحة التي انطلقت من ردفان في 14 أكتوبر 1963م إلى عشية الاستقلال في 30 نوفمبر 1967م؛ وإذا عدنا إلى كتاب المقالح سنجد تقسيمًا آخر؛ لأنه بدأ هذه المرحلة بعام 1962م إلى زمن كتابة رسالته عام 1973م. ولكن ما يهمنا هو الشعر الوطني الجنوبي الذي أشار إليه؛ لقد أشار إلى قصيدة تدعو إلى ثورة الجنوب ضد الاستعمار، وتشيد بثورة الشمال 26 سبتمبر 1962م، وهي للشاعر الحضرمي عبدالكريم الملاحي، وهناك قصائد من حضرموت احتفت بثورة 14 أكتوبر، ولكن المقالح لم يذكرها لعله لم يصل إليها مثلما لم يصل إلى قصائد ودواوين لشعراء جنوبيين آخرين

وقد ذكر المقالح أن الثورة انطلقت من ردفان عام 1964م وهذا خطأ تاريخي، فالثورة قامت في 14 أكتوبر 1963م

لقد نطرق إلى الشعر الذي واكب ثورة الجنوب 14 أكتوبر مشيرًا إلى قصيدة الشاعر عبده عثمان التي صدع بها في أيام انطلاق الثورة نفسها وهي قصيدة مشهورة

كانت الساعة لا أدري
ولكن..
من بعيد شدني صوت المآذن
ذهل الصمت تداعت في جدار الليل ظلمة.
وتمطى في دمائي حبّ شعبٍ
وأطلت عشرات الأحرف الحمراء ... أسراب القوافي [40]

وللمقالح نفسه قصيدة طويلة عند قيام ثورة الجنوب منطلقة من جبال ردفان عنوانها (نشيد الذئاب الحمر) [41]، وقد قمت بدراسة هذه القصيدة في أحد كتبي [42]؛ ومنها

ذئاب نحن فوق جبالنا المشدودة القامة
أسير الفجر ننسج للضحى لنهارنا هامة
وننقش في جبين الشمس موكبه وأعلامه
ونحفر للدخيل القبر نسحقه وأصنامه

أما الشعر الوطني في حضرموت الذي

(39) م ن، ٣٣١.
(40) الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن ٣٠١.
(41) عبدالعزيز المقالح، الأعمال الشعرية الكاملة، ٢٠١ وما بعدها.
(42) ينظر: قراءات في شعر المقالح، ٥٤ وما بعدها.

رحب بثورة ردفان الجنوبية المجيدة، وجدنا الشاعر محمد سالم الحامد _ كما جاء في كتاب الزميل الدكتور أحمد باحارثة الذي اعتمدنا عليه كثيرًا في جانب الشعر الوطني في حضرموت _ حيًّا الشاعر الحامد الثورة في ردفان بقصيدته التي عنوانها (تحية بطل ردفان)[(43)].

في موكب الثورة أيضًا لدينا نصوص للشاعر إدريس حنبلة مثل قصيدة (نشيد ردفان)[(44)] كتبها تاريخ 14/ 10/ 1963م يعني يوم الثورة نفسه، وأيضًا كتب (نشيد الثورة) في وقت لاحق بعد قيام الثورة[(45)].

وللشاعر القرشي عبدالرحيم سلام قصيدة أيضًا في انطلاق الثورة[(46)]، وللشاعر صالح سحلول من شعراء الشمال قصيدة أيضًا في هذا الحدث الوطني الكبير[(47)]، وهكذا وجدنا تفاعل الشعراء مع الثورة المسلحة ضد الإنجليز حتى على مستوى الشعر العربي، فهناك قصيدة طويلة للشاعر الفلسطيني سميح القاسم اسمها (ليلى العدنية) استعرض فيها نضال الجنوبيين منذ دخول الكابتن هنس بقواته إلى عدن عام 1839م حتى خروج الاستعمار البريطاني منها 1967م[(48)].

وللشاعر محمد سعيد جرادة قصيدة في موكب الثورة ضد الاحتلال اسمها (ثائرة من ردفان)[(49)] صوَّر فيها مناضلة باسلة من مناضلات ردفان اسمها (دعرة القطيبية) كانت إلى جانب المناضلين في الكفاح المسلح، وقد شاركت من قبل أبناء ردفان عندما ذهبت أعداد منهم إلى صنعاء وما جاورها نصرة لثورة 26 سبتمبر 1962م، ثم عادت مع المناضلين، وشاركت في تفجير ثورة 14 أكتوبر 1963م، وما تلاها من كفاح حتى الاستقلال في 30 نوفمبر 1967م

بيد أننا وجدنا الشعر الفصيح قليلًا في مواكبة الثورة، لقد سكتت القصائد إلى حد ما، وتكلمت المدافع والبنادق، وتحول الأمر من ترديد القوافي إلى قهقهة السلاح في وجه الاستعمار

لقد كان الشاعر الكبير عبدالله البردوني متعاطفًا مع شعب الجنوب وكفاحه ضد الاحتلال الأجنبي خلال الخمسينيات، ولكن لم نجد له شعرًا واكب ثورة 14 أكتوبر كما وجدنا للمقالح وعبده عثمان، ولعلنا لم نهتد إلى ذلك الشعر

فهل يكمن دور الشاعر عادة في مواكبة الثورة أو في الحث عليها واستشرافها كما فعل البردوني؟

وفي المرحلة الأخيرة وهي محطة الاستقلال من رحلتنا هذه نتوقف أمام ذلك الشعر الوطني الذي واكب الاستقلال محتفيًا به ومحتفلًا وحافلًا بفرحة النصر العظيم

هذا الشعر مرتبط بشعر المرحلة السابقة،

(43) صحيفة الطليعة، العدد ٣٩٩، تاريخ ١٩/ ١١/ ١٩٦٧م.
(44) إدريس حنبلة، الأعمال الكاملة، ١٦٨.
(45) م ن، ١٧١.
(46) الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن، وموقع صحيفة ٢٦ سبتمبر.
(47) م ن، وموقع صحيفة ٢٦ سبتمبر..
(48) ديوان سميح القاسم، دار العودة بيروت، ١٩٨٧م، ١٥٣. وللشاعر نفسه قصيدة بعنوان(الذئاب الحمر) ص١٠٢.
(49) موقع صحيفة ٢٦ سبتمبر

أي شعر الثورة التي تتوجت بالاستقلال، ولكننا أفردنا له محطة خاصة من محطات البحث الثلاث

لم نجد المقالح يورد قصائد كثيرة واكبت حدث الاستقلال في كتابه المذكور؛ ولكنه أثبت قصيدة للشاعر لطفي أمان مشهورة، وهي قصيدة (بلادي حرة) كتبها الشاعر بمناسبة يوم الاستقلال، وقد لاقت هذه القصيدة صدى واسعًا، وتطرق إليها النقاد[(50)]، وللمقالح نفسه قصيدتان لم يذكرهما في كتابه؛ لأنَّه لم يكن يستشهد بشعره حقيقة سواء في أحداث الشمال أو أحداث الجنوب فقد كان يتناول شعر الآخرين، وهاتان القصيدتان هما قصيدة (رسالة إلى عامل في ميناء عدن يوم الاستقلال)، وقصيدة أخرى عنوانها (يوم الجلاء)

وللمقالح أيضًا قصيدة عنوانها (عدن ودينكيشوت)[(51)]، لكنها قيلت بعد الاستقلال بوقت قصير، قالها الشاعر عندما سمع أحد السلاطين، وكان في لبنان يزعم أنه ذاهب إلى عدن ليؤدب حكومة الثورة هناك، فكتب الشاعر هذه القصيدة يتحداه بأن يفعل ما زعم فعله مشبهًا إياه بدينكيشوت الذي كان رمزًا للهزيمة وادعاء النزال

ومن القصائد النوفمبرية قصيدة (30 نوفمبر) للشاعر محمد سعيد جرادة، وقد أثبتناها في أحد كتبنا وحللناها

ويبقى أن نشد الرحال إلى حضرموت لنرصد ما قاله الشاعر هناك عن يوم الاستقلال المجيد: فهذه قصيدة رصدها الدكتور أحمد باحارثة في كتابه عن الشعر الوطني في حضرموت، وهي للشاعر سالم عبدالعزيز، عبر فيها عن تفاؤله بمرحلة جديدة يسود فيها التقدم والعز بعد الاستقلال، وهي قصيدة طويلة تفعيلية، واكبت التحرير في مبناها ومعناها[(52)].

أما الشاعر عبدالله أحمد الناخبي فقد وجدناه يخاطب بحرارة وصدق أخاه ابن الجنوب، ويوصيه بالوفاء والشراكة في ظل دولة الجنوب الواحدة الموحدة، بعد أن انصهرت إمارات الجنوب وسلطناته ومشيخاته في دولة واحدة فتية كان لها ما كان من السلب والإيجاب

يقول الناخبي:

يا ابن الجنوب أنا وأنت الله الزمنا بعقدِ
قم بالوفاء فإنني آليت أن أوفي بوعدي! ((53))

خاتمة

يثبت التتبع التاريخي أن الشعر الوطني الجنوبي سابقٌ على التقسيم الزمني الذي تبنّته بعض الدراسات الشمالية، وأن العشرينيات والثلاثينيات في عدن وحضرموت شهدت نصوصًا صريحة في رفض الاحتلال الإنجليزي

تفوّقت عدن - بما تمتعت به من صحافة ونوادٍ ومطابع - في إنتاج شعر وطني متصل بالحدث السياسي، لكن الجنوب لم يختزل فيها؛ إذ ظهر شعر وطني فصيح في

(50) () لطفي جعفر أمان، الأعمال الكاملة، ص ٣٩٧.
(51) () عبدالعزيز المقالح، الأعمال الشعرية الكاملة، ٣٣٦ وما بعدها.
(52) () الشعر الوطني في حضرموت، ١٠٦.
(53) () م ن، ١٦٢.

حضرمـوت والحوطـة، خصوصًـا عنـد ارتفـاع منسـوب الوعـي القومـي في الخمسـينيات

التقييـم الـذي قدّمـه د. عبدالعزيـز المقالـح لحركـة الشـعر في عـدن يحتـاج إلى إعـادة نظـر عندمـا يُقـرأ مـن داخـل التجربـة الجنوبيـة نفسـها، لأنـه أسـقط واقـع الـشمال على الجنـوب، وجعـل عـدن "الشـطر الجنـوبي" كلـه، وتجـاوز نصوصًـا وطنيـة واضحـة العنـوان والجهـة

تـدرّج الشـعر الجنـوبي مـن الرفـض الأخلاقي-الدينـي لحكـم الأجنبـي، إلى الدعـوة السياسـية، إلى التحريـض الثـوري، ثـم إلى الاحتفـاء بالاسـتقلال، أي أنـه عكـس تطـوّر الحركـة الوطنيـة نفسـها

حافـظ هـذا الشـعر – على اختلاف شـعرائه – على ثلاث هويـات متداخلـة: الهويـة الوطنيـة الجنوبيـة، والانـتماء العـربي القومـي، والمرجعيـة الإسلاميـة، وهـو مـا منحـه شرعيـة شـعبية، وسـهّل تحـوّل كـثير مـن نصوصـه إلى أناشـيد ثوريـة

عرض كتاب.. من شواطئ الصومال إلى قلب التجارة العالمية.. كيف تحولت القرصنة إلى معضلة دولية؟

فوزية زراولية
باحثة جزائرية، أستاذة مساعدة في قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة جيجل الجزائرية.

يتطور العالم، ومعه تتطور مظاهر الحياة في وجهيها الإيجابي والسلبي. فقبل ظهور وسائل النقل الحديثة، كان البرّ ساحة الصراع بين الأقوام، تُمارَس فيه أعمال السلب والنهب والتقطع للقوافل التجارية والثروات الحيوانية وحتى للبشر أنفسهم. ومع تطور وسائل النقل وتنامي القدرات الدفاعية، أمكن تأمين مساحات واسعة من اليابسة بفضل أنظمة المراقبة والنيران، فانحسرت أعمال التقطع البري لتنتقل إلى الفضاء البحري، حيث اتخذت شكلًا جديدًا هو القرصنة البحرية

ورغم التقدم التكنولوجي في مجال الاتصالات والملاحة والأمن البحري، ما زالت هناك مساحات بحرية شاسعة خارج نطاق السيطرة، مهيأة لعودة الظاهرة القديمة في ثوبٍ حديث. وقد ساهمت عوامل داخلية وخارجية في تجددها، أبرزها انهيار أنظمة بعض الدول الساحلية، والتعديات الدولية على مياهها الإقليمية، سواء عبر الصيد الجائر الذي يستنزف ثرواتها السمكية، أو عبر استخدام سواحلها كمكباتٍ للنفايات السامة

في هذا السياق برزت الصومال بوصفها النموذج الأكثر تعبيرًا عن هذا التداخل بين الانهيار الداخلي والعدوان الخارجي؛ إذ نشأت القرصنة الصومالية في البداية بصورة بدائية أقرب إلى أعمال التقطع في البرّ، ثم تطورت

مـع تطـور الاتصـالات وتقنيـات الملاحـة، لتتحـول إلى ظاهـرة أمنيـة واقتصاديـة معقـدة ذات امتـدادات إقليميـة ودوليـة

وتـأتي هـذه الدراسـة الموسـومة بـ «القرصنة الصوماليـة: بين منطـق اقتصاد الحـرب والمنطق الاستراتيجـي الإنسـاني الـدولي»، مـن إعـداد الأسـتاذة فوزيـة زراوليـة، أسـتاذة بجامعـة جيجـل، والمنشـورة في المجلـة الجزائريـة للأمـن والتنميـة – العـدد الثـاني (جانفـي 2012)، لتسـلّط الضـوء على هـذه الظاهـرة مـن زوايـا متعـددة: النشـأة والخلفيـات، الجهـات الفاعلة والمسـتفيدة، والإحصـاءات الميدانيـة لمحـاولات القرصنـة الناجحـة والفاشـلة خلال السـنوات محـل الدراسـة

ورغبـةً مـن مجلـة بريـم في إثـراء النقـاش الأكاديمـي حـول قضايـا الأمـن البحـري في القرن الإفريقـي والبحـر الأحمـر، فقـد ارتـأت هيئـة التحريـر إعـادة نشر هـذه الدراسـة القيّمـة كما وردت في أصلهـا الأكاديمـي، مـع إجـراء بعـض التصحيحـات الشـكلية البسـيطة التـي لا تمـس المضمـون، التزامًـا بالأمانـة العلميـة، وإسـهامًا في توسـيع دائـرة البحـث في أحـد أخطـر التحديـات الأمنيـة والاقتصاديـة في منطقتنـا البحريـة

ملخص الدراسة:

القرصنـة الصوماليـة ظاهـرة مركبـة متعـددة الأبعـاد والفواعـل والمسـتويات ومـن الصعـب فهمهـا بعيـدًا عـن تحليـل العلاقـات الوظيفيـة بين الأحـداث السوسـيولوجية وانعكاسـها على البيئـة النفسـية للقطاعـات الشـعبية، أو بعيـدًا عـن اخـتلال التوازنـات الاقتصاديـة الكليـة والجزئيـة بعـد انهيـار نظـام سـياد بـري وتـأثيره على إعـادة هيكلـة العلاقـات الشـعبية العموديـة ذات الطابـع العشـائري أو الطابـع السـياسي، مما عمَّـق مـن منطـق الشـخصنة داخـل جميـع أنمـاط العلاقـات التبادليـة داخـل المجتمـع، أو بعيـدًا عـن المصالـح الاستراتيجيـة الدوليـة بالمنطقـة وتـورَّط الفواعـل الأجنبيـة وتـأثير التحـولات النظميـة على المسـتوى الـدولي على الدولـة الصوماليـة، وهـذا مـا يسـتلزم مقاربـة شـاملة تجمـع بين الملاحـة القانونيـة وإعـادة البنـاء للهيـاكل السياسـية الداخليـة وحتـى التدخـل العسـكري إن تطلـب الوضـع، ولـو أنَّـه يبقـى مسـتبعدا إلى يومنـا هـذا

الـكلمات المفتاحيـة: الصومـال القرصنـة البحريـة، الملاحـة البحريـة

:Abstract

The article addresses this security concern of piracy in high seas. Maritime piracy became indeed a major challenge for the failed Somali state and region and highlighting the origins of the problem by reviewing the political situation in Somalia and the impact of waste dumping, third we wish to examine the main results of issue, it can be presented as a threat to human security because of increasing attacks on vital international deliveries and as a serious threat to the regional and international trade in particular the global shipping

oil, finally we will deal with the initiatives undertaken by the international community to tackle with the challenge.

Keywords: Somalia, maritime piracy, seamanship.

مقدمة

شهدت السنوات الماضية تضاعفًا ملحوظًا بالقرصنة البحرية، وبإجمالي يتجاوز 889 رهينة وتنامي بـ 207% مقارنة بـ 2007م(1)، ولقد شكلت مأزقًا فعليًا لمدة طويلة في مضيق مالاكا (Malaka) ما بين إندونيسيا وماليزيا، ولكنها اليوم تمتد حتى سواحل الدول الضعيفة الإفريقية وخاصة السواحل الصومالية التي عرفت بدايتها بالمناطق الجنوبية، ثم تحولت نحو الشواطئ الشمالية مع 2007م، وهذا ما أفرز عن تشكيل العديد من العصابات الصومالية على طول خليج عدن إذ انتقلت من حالتين إلى 35 حالة من 2004م حتى 2005م(2)، وباستثناء النصف الثاني سنة 2006م _ فترة قيادة المحاكم الإسلامية _ فإنَّ الهجمات شهدت تطورًا من حيث العدد، والاستراتيجيات والتكتيكات، إذ من 25 سبتمبر 2008م حتى أكتوبر 2008م سجَّلت الغرفة الدولية للتجارة ومكتب الملاحة الدولية حوالي 61 محاولة اختطاف، وفي الأسابيع الأخيرة لشهر أوت 2008م تمَّ الاستيلاء على أربع سفن كاملة(3)، أي تنامي بـ 75% في 2008م) (4)(لاحظ الشكل 1) بصيغة إجمالية، فإنَّ طيلة 2008م تمَّ تسجيل حوالي 95 هجومًا على السواحل الصومالية، 40 منها كانت ناجحة، تمَّ فيها احتجاز 300 شخص. وقد أثارت القرصنة الصومالية الاهتمام الدولي وتغطية إعلامية بشكل كبير بعد احتجاز السفينة الأوكرانية المحملة بالأسلحة الروسية في طريقها نحو كينيا، ثم الحاملة السعودية النفطية المتجهة نحو الولايات المتحدة الأمريكية لكن الوضع لم يتوقف عند هذا الحد، ففي سنة 2009م تمَّ تنفيذ حوالي 63 هجومًا و21 منها كان ناجحًا، تمَّ فيها احتجاز حوالي 247 فردًا من طاقم السفن(5)، لكن هذه الإحصاءات تبقى متباينة ونسبية، إذ يشير Richard Weitz إلى أنَّ خليج عدن قد كان عرضة لحوالي 111 حادثًا خلال 2009م(6)

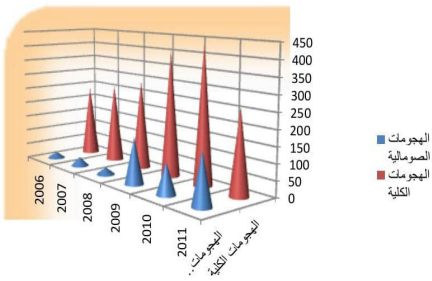

شكل(1): نسبة هجومات القرصنة الصومالية مقارنة بالهجومات الكلية

Source: ICC International Maritime Bureau

إنَّ هذه المعطيات الأمنية الجديدة وما تطرحه من رهانات على المستوى الداخلي والإقليمي والدولي تجعلنا نتساءل كيف يمكن فهم ظاهرة القرصنة على السواحل الصومالية وتحليلها؟ ما هي الاستراتيجيات والميكانيزمات المتبناة؟ وما هي المحددات السياقية لهذه الظاهرة؟ ما واقع الفعل

أو الاستجابة الدولية لتنامي هذا التهديد مؤخرًا؟

1_ مراحل القرصنة الصومالية وخصائصها:

يشير معهد السلام الدولي الأمريكي في تقريره 2009م، إلى أنَّ القراصنة الصوماليين، هم عبارة عن شباب ينحدرون من الفئات غير المتعلمة وغير الراضية عن وضعها، معظمهم مسلحين ببنادق AK-47 وأسلحة بيضاء، وبعض الصواريخ والقنابل ينضوون تحت 3 مجموعات متمايزة: الميليشيات العشائرية، وشباب يبحثون عن الربح السريع، وصيادون أجبروا على القرصنة لمهاراتهم الملاحية. فهم مجرد عصابات تضم 4 حتى 6 أفراد يتمّ تمويلهم من طرف شخصيات نافذة يعرفون بـ: Pirates Bosses، وقد حدد فريق الخبراء الدوليين في اجتماع كينيا نوفمبر 2008م حوالي 5 شبكات رئيسة، وهي فرع عيسى محمود وليلكاس من عشيرة الدارود في Eyl، شبكة عمر محمود من عشيرة الدارود في Garad، فرع هير جدير (سعد أير سليمان) عشيرة هاوية في Hobyo، فرع هير جدير أبر، سرور سليمان عشيرة هاوية في هر دير، فرع هبر جدير (أير) في مقديشو، وبحسب التقرير الصادر عن الاجتماع نفسه فإنَّ هذه العصابات المسلحة غير منظمة، وغالبًا ما تستهدف السفن البطيئة كالحاملات النفطية (Siri-us Star)، وحاملات الشحن (MV Faina)، والصيد (Playa de Bakio)، وسفن حمولات الإغاثة (Maersk Alabama) أو السفن السياحية (Seaborn Spirit)(7)

لكن هذه القراءة أو الصيغة التي قدَّمها المعهد بقلم Raymond Gilpin تُعَدُّ سطحية وبسيطة نوعًا ما، ويشير تقرير Bilyana TsvetKova إلى أنَّ القرصنة الصومالية تتكيف مع ردود الأفعال الدولية، وتسعى لتوظيف مسار العولمة بشكل جيد، إذ أصبح لدى أفرادها أسلحة مهمة بالإضافة للقنابل اليدوية كالصواريخ المضادة للدبابات والزوارق السريعة إلى جانب اللجوء المكثف للاغتصاب والقتل والاختطاف والابتزاز النظامي(8)، وهذا ما يبرر لنا اتّساع نطاق الهجومات (لاحظ الخريطة 1)، ولو أنَّ هذه تبقى معطيات نسبية ومبالغ فيها، لأنَّه وحسب تصريحات Colin Freeman، أحد المحررين في UK's Daily Telegraph، الذي أخذ كرهينة لمدة 6 أسابيع، فإنَّه يتمُّ معاملة الرهائن بشكل جيد، الأكثر من ذلك أنَّ القراصنة الصوماليين يحصلون على دعم العشائر النافذة، موظفي الحكومة الفدرالية المؤقتة والتجمعات التجارية ورجال الأعمال بالدول الإقليمية(9)، فالمجتمع الصومالي قد عبر عن دعمه لهذا المشروع وعَدَّه مربحًا ولافتًا للأنظار، بالنسبة له حتى وإن كانت القرصنة غير قانونية من وجهة النظر الدولية، فهي مقبولة من وجهة النظر المجتمعية في دولة يعمُّ الفقر فيها وسوء التغذية والمجاعة، إذ إنَّ 2 مليون $ حافز قوي لتشجيع نشاطات القرصنة، إذ ما بين جانفي 2008م حتى نوفمبر2008م تمَّ جمع فديةً بلغت حوالي 30 مليون $، فالأموال بمثابة الفرصة للانضمام للنخب الاقتصادية الصومالية الجديدة وشراء الأسلحة للحماية من اليمن أو مقديشو أو دبي. وتتمركز معظم

نشـاطات القرصنـة في Somaliland و-Punt land، وكان _ في السـابق _ معظـم الناشـطين بهـذه الممارسـات مـن وسـط الصومـال، ولكـن لا يجـب إهمال الحقيقـة التـي مفادهـا أنَّ معظـم الفاعـلين الجـدد مـن البونـتلاد، وهـذه المنطقـة هـي موطـن الرئيـس عبدالله يوسـف الـذي كان يسـتقبل مـال الفديـة بوصفـه ممثلًا للنيـة الحسـنة، وهـذا مـا يجعلنـا نسـلم أنَّـه حتـى وإن كانـت المسـتويات العليـا للحكومـة والهيـاكل العشـائرية غير متورِّطـة بشـكل مبـاشر في تنظيـم القرصنـة فإنَّهـا تسـتفيد منهـا، ويجعلنـا نتسـاءل هـل فـرق القرصنـة هـي بالفعـل مجـرد عصابـات صـغيرة؟ وإن كانـت عصابـات صـغيرة وغير منظمـة، بمـاذا نـفسّر التواجـد الـدولي القـوي بخليـج عـدن؟

تمـرُّ عمليـة القرصنـة بــ 7 مراحـل أساسـية، هـي: الاسـتطلاع وجمـع المعلومـات، والملاحقـة المنسـقة، والصعـود إلى السـفينة والاسـتيلاء عليهـا، والتوجـه نحـو منطقـة آمنـة، والتفاوض، ودفـع الفديـة، وتحريـر السـفينة والعبـور الآمـن. ويعتقـد أنَّ القراصنـة يتحصلـون على المعلومـات اللازمـة (الحمولـة، والممـر، والقـدرات) مـن موظفـي الموانـئ أو الموظـفين الحكوميين، فالهجـوم لا يأخـذ عـادة أكثر مـن 15 دقيقـة، وعنـد الاسـتيلاء على السـفينة يُجبَر الطاقـم على الإرسـاء بأحـد المناطـق المحميـة مثـل: غـاراد، أيـل، هوبيـو، هراردير في الـشمال الشرقـي، وهـذا مـا يقلِّـلُ مـن فـرص النجـاة، ويسـهل وصـول السـلع للقراصنـة طيلـة مسـار التفـاوض الـذي قـد يسـتغرق أيامًـا أو شـهورًا. في السـابق كان القراصنـة يسـتخدمون أسـلحة صـغيرة وزوارق بمحـركات سريعـة تعـوم السـواحل(10)، وحاليًـا يقومـون باسـتخدام مـا تعـرف بالسـفينة الأم (Mothership)، معظمها سـفن للصيـد يسـيطر عليهـا القراصنـة بالقـرب مـن البَّر، ويسـتخدمونها كمحطـة انـطلاق لهجماتهـم، حتـى إن القـوى الدوليـة أصبحـت غير قـادرة على ردع هـذه الأخيرة إلَّا حالـة الإعلام المبكـر، مثـلما حـدث مـع USS paleliu مـن البحريـة الأمريكيـة التـي اسـتطاعت ردع الهجـوم عـن Gem of Kilakari السـنغافورية في أوت 2008م مـع العلـم أنَّهـا كانـت بعيـدة بمسـافة 10 ميـل فقـط

ومـن السـهل تحديـد العوامـل التـي تجعـل السـفن أكثر انكشـافية: كالجوانـب المنخفضـة، والسرعـة البطيئـة، وطاقـم صـغير، والافتقـاد لأجهـزة الـرادار والمشـاهدة كحالـة: Danica White وPanant، لكـن حاليًـا يبـدو أنَّـه حتـى البواخـر ذات الجوانـب العليـا ضمـن نطـاق قدراتهـم، فهـذه الخاصيـة لم تمنعهـم مـن القيـام بمحاولـة هجـوم على Takayama MV اليابانيـة(11)

أمَّـا فـيما يخـصُّ الفديـة فغالبًـا مـا يتـمُّ إرسـالها بشـكل مبـاشر للسـفن المختطفة سـواء عبر قـوارب مسـتأجرة مـن طـرف شركات أمنيـة خاصـة متعاقـدة مـع وكالات النقـل بالسـفن، أو عبر إسـقاطها باسـتخدام الطائـرات الخفيفـة والمجهـزة بشـكل جيـد، ومنـذ سـنوات قليلـة كانـت هـذه الأخيرة بالمئـات والـعشرات مـن الـدولارات لكـن بــ 2008م أصبحـت بين نصف مليـون و2 مليـون$، ولكنهـا ارتفعـت مؤخـرًا، فقـد طلـب حـوالي 3,5 مليـون$ مـن أجـل تحريـر MV Stella Maris التـي تـمَّ الاسـتيلاء عليهـا بــ 20 جويليـة 2008م، في حين قـدرت المدفوعـات الكليـة للسـنة نفسـها مـا بين 18 حتـى 30 مليـون$(12)

خريطة رقم(1) توسع هجومات القرصنة على الساحل

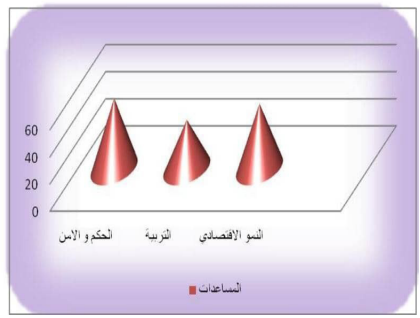

Source: Kenya Opens Fasttrack, Piracy Court in Mombassa, BBC News, :24-june-2010, 16:52 GMT, available at http://www.bbc.co.uk/news/10401413

ومما سبق يمكن تحديد خصائص القرصنة الصومالية بالآتي

1_ عزلة المنطقة الجغرافية، فهي بعيدة عن المركز وقريبة من الطرق التجارية الدولية _ باب المندب _

2_ الهجمات غالبًا ما تكون غير عنيفة إلَّا عند الضرورة، ويتمُّ الاعتناء بالرهائن بشكل جيد، وبحسب مراسل BBC ماري هاربر أن هناك العديد ممن يستفيدون من تواجد الرهائن ولاسيما مالكي الفنادق والتجار

3_ يتمُّ توزيع الفدية بين القراصنة والعديد من الفواعل الأخرى على اليابسة، حيث يتمُّ استخدام جزء منها لرشوة الضباط المحليين، وغلق شبكة لجمع المعلومات والمساعدة اللوجيستيكية، ووفقًا للتقارير فإنَّ 30% من الفدية تخصَّصُ للموظفين المحليين لضمان دعمهم، وحاليًا اتَّسعت هذه الروابط العلائقية لتشمل القوات المسلحة في ظل حكومة فيدرالية لا وظيفية

2_ المحددات السياقية للقرصنة الصومالية

لقد اتَّسعت وتضاعفت _ مؤخرًا _ نشاطات القرصنة من آسيا إلى أفريقيا وأمريكا اللاتينية بشكل ملحوظ، لعوامل عدَّة، نذكر منها

1_ انفجار المبادلات التجارية البحرية وتضاعفها، إذ بـ 2009م كانت حوالي 80% من المبادلات التجارية يتمُّ نقلها بوساطة السفن عبر المياه، أي حوالي 12 إلى 15 مليون حاوية، وهذه السفن تستخدم ما يقارب 6500 ميناء عبر العالم

2_ الاستخدام الواسع للمضائق والحواجز البحرية مثل مضيق مالاكا في شرق آسيا، وباب المندب بالقرب من الصومال، ومضيق هرمز ما بين إيران والإمارات العربية المتحدة، وقناة السويس وقناة باناما، وفي هذه الحواجز غالبًا ما تصبح سرعة السفن بطيئة، فضلًا عن ذلك أنَّ معظم هذه المضائق تتواجد بالقرب من الدول الضعيفة

3_ قيام الولايات المتحدة الأمريكية منذ هجمات سبتمبر 2001م بعدّة إجراءات وتدابير صارمة لتعزيز النظام الأمني على الأراضي، فهي تهتمُّ بالأراضي غير الخاضعة للحكم أكثر من المياه الخاضعة للحكم

4_ الانتشار الواسع لتجارة الأسلحة غير الشرعية وزيادة تعقيد هذه الشبكات التجارية، يمثل فرصة مناسبة للجماعات الناشطة ولاسيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي الذي أسهم بارتفاع عدد الأسلحة المعروضة في السوق السوداء، وفي تصريح لنوا تشونغ مدير المكتب الملاحي

الـدولي، فإنَّـه مـع بدايـة 2000 كان القراصنـة يسـتخدمون الخناجـر والمسدسـات، أمَّـا حاليًـا فهـم مجهـزون بـ AK47(13 M-16 RP6)

هـذا عندمـا يتعلـق الشـأن بالواقـع الـدولي، ولكـن إذا تطرقنـا للحالـة الصوماليـة، فهنـاك بعـض الخصوصيـات التـي يجـب أخذهـا بـعين الاعتبـار، فقـد اختلفـت التحاليـل والتفسـيرات المقدمـة باخـتلاف المنظـورات والمقاربـات المتبنـاة

انهيـار نظـام سـياد بـري ورفـع الوصايـة الدوليـة مـن منطـق المسـاعدات الخارجيـة إلى منطـق اقتصـاد الحـرب

إنَّ القرصنـة هـي إحـدى الإفـرازات الجانبيـة لانهيـار الدولـة الصوماليـة بعـد انهيـار الشـبكات الزبائنيـة والباتريمونياليـة لسـياد بـري، التـي حافظـت على وجودهـا طيلـة الحـرب البـاردة بفضـل الوصايـة الدوليـة، فقـد كانـت الصومـال النمـوذج الأمثـل ونقطـة الانـطلاق في معلـم التغـيير الحاصـل على التحالفـات الفرانكفونيـة والأنجلوفونيـة والسـوفيتية بالقـارة، إلى جانـب نظـام أباتشـا في نيجيريـا، وتراجـع سـيطرة حركـة اليونيتـا في أنغـولا، وانـدلاع الحـرب الأهليـة في سيراليـون وليبيريـا. لكـن هـذه الحركيـة النظميـة ليسـت العامـل الوحيـد، بـل ذلـك التـزاوج بين طبيعـة البنيـة الدوليـة والتقليـد التاريخـي للامركزيـة في الصومـال، الـذي أضفـى طابـع جـد معقـد على الانقسـامات الداخليـة الحاليـة ومنحهـا صفـة العنـف والاسـتمرارية، فخاصيـة التنظيـم الإداري كانـت غائبـة ومـا زالـت غائبـة في المجتمـع الصومـالي وأسسـها غير موجـودة بالمخيـال أو المعتقـدات الصوماليـة، هـذا قـد يجـد أصولـه في التاريـخ الصومـالي مـن جهـة والممارسـات البيروقراطيـة الإقصائيـة طيلـة حكـم نظـام سـياد بـري من جهـة أخـرى، فعلى عكـس المـدن السـاحلية التـي كان يقطنهـا العـرب المسـلمين منـذ القـرن 10م، حيـث قامـوا بإنشـاء مـدن تجاريـة فـإنَّ المناطـق الرعويـة والزراعيـة - الرعويـة الداخليـة لم تشـهد أي شـكل مـن أشـكال التنظيـم للوحـدات السياسـية، وعنـد قـدوم المسـتعمر الأوروبي لم يقـم بإنهـاء حالـة اللاوحـدة، فقـد قسـمت الصومـال بين بريطانيـا، وفرنسـا، وإيطاليـا إلى غايـة الاسـتقلال بـ 1960م، وتـمَّ تأسـيس الجمهوريـة الديمقراطيـة الصوماليـة مـن الأقاليـم الايطاليـة والبريطانيـة، وحاولـت القيـادة الصوماليـة، في العشريـة الأولى، تبنـي النمـوذج السـياسي الأوروبي، ولكـن في الواقـع أنَّ الاسـتعمار لم يترك الهيـاكل الاقتصاديـة التـي تسـمح بدعـم هـذا المشروع، إذ شـهدنا غيابًـا كليًـا لقاعـدة صناعيـة أو لاحتياطيـات تعدينيـة أو طاقويـة. وأمـام تدهـور الوضـع الـداخلي والسياسـات غير الفعَّالـة والفاسـدة، تم إسـقاط الحكومـة بـ 1969م بانـقلاب عسـكري، تسـلم، على إثـره، محمـد سـياد بـري السـلطة وقـام باسـتبدال النظـام السـياسي المـدني ببيروقراطيـة عسـكرية، وعمـل على توسـيع الجيـش مـن 30,000 فـرد إلى 120,000، وتوظيفـه لشراء الـولاء، وتعزيـز منطـق الشـخصنة والتبعيـة العموديـة(14)

لقـد كانـت معظـم المداخـل الدولاتيـة تـأتي مـن الحكومـة، فالصومـال ليـس لديهـا قاعـدة جبائيـة متينـة أو مـوارد قيمـة، والمصـدر الأسـاسي للخزينـة هـي المسـاعدات الخارجيـة ولاسـيما مـع اتسـاع هامـش المسـاومة في أثنـاء الحـرب البـاردة، فقـد حـازت التجـارب

الماركسية _ اللينينية لسياد بري، على دعم الاتحاد السوفييتي، إذ في 1974م قامت الدولتان بعقد معاهدة صداقة وتعاون تحصّلت فيها موسكو على حقّ إلقاء لقواعد عسكرية عديدة مقابل تقديم المساعدات العسكرية والتنموية

لكن الغزو الصومالي لأثيوبيا في 1978م قد أدَّى إلى تغيير التحالفات، ولو أن الانفتاح السياسي على الولايات المتحدة الأمريكية واجه صعوبات بسبب الرفض الشديد للرئيس جيمي كارتر للانتهاكات الإنسانية بالصومال، فقد تم توقيع اتفاقية في 1980م بين الدولتين تبعتها العديد من المساعدات القادمة من الدول الغربية، حيث قدمت واشنطن 51 مليون$ بمثابة مساعدة عسكرية، و35 مليون$ مساعدة تنموية، أمَّا إيطاليا فقدمت 9 مليون$ للمشاريع الكهرومائية ومشاريع الري، في حين المؤسسات الأوروبية قدمت ما يتجاوز 53 مليون$. لكن نهاية الحرب الباردة كانت كارثية بالنسبة للنظام السياسي، مثلما أشار لذلك السفير الأمريكي السابق في الصومال فرانك كريغلر، لقد قامت الولايات المتحدة بإطفاء الأضواء، وغلق الباب، ونسيان المكان، وفي السنة نفسها لجأت إلى إخلاء الرعايا الدبلوماسيين، وبهذا هرب سياد بري إلى خارج البلاد، ودون مساعدة خارجية فإن الحكومة غير قادرة على دفع الأجور للجيش والبيروقراطية، وبهذا تصاعدت التوترات الانقسامية، ودخلت البلاد في حالة حرب شبه مستمرة، وحسب ما أشار جيفري جتلمان للعلاقات الوظيفية للبُعد السوسيولوجي أنَّ حوالي جيل كامل من الصوماليين ليسوا لديهم أي مكان يذهبون إليه

إنَّ هذا الواقع قد عزَّز انتشار ثقافة العنف والسلاح، وأصبح وسيلة مشروعة للتفاعل الاجتماعي، وربما أحسن دليل هو تعدد لوردات الحرب والميليشيات المسلحة، وقد تضاعفت خطورة الوضع على إثر تشكيل ميليشيات الشباب في 2005م، الذين صنفوا ضمن التنظيمات الإرهابية بالأجندة الأمنية الأمريكية، وبالرغم من دخول القوات الأثيوبية في 2006م _ بدعم من القوات الخاصة الأمريكية، وتحت الدعاية الأممية، بعد تشكيل حكومة انتقالية فيدرالية، عقب مواجهة مع مجلس المحاكم الإسلامية _ إلَّا أنَّها لم تستطع احتواء الوضع، حتى القادة الجدد الذين تمَّ تعيينهم بالمناصب الحكومية يفتقدون للمصداقية والشرعية. إنَّ هذه البيئة والمحددات الداخلية تُعَدُّ كافية لظهور القرصنة ولاسيما في المناطق التي تشهد ارتفاع نسبة الفقر والبطالة، وغياب كلي للمؤسسات والهياكل الحكومية مثل البونتلاند وصومالي لاند(15)

المسؤولية الدولية: ما بين الصيد غير الشرعي ورمي النفايات السامة

تلجأ التقارير والأجهزة الإعلامية غالبًا إلى تصوير ظاهرة القرصنة الصومالية بوصفها نشاطًا غير شرعي لتحقيق الربح السريع أو أحد آليات اقتصاد الحرب في أفريقيا السوداء، ولاسيما بعد ارتفاع نسبة الفدية في السنوات الأخيرة، ومن السهل تصديق

هـذا الطـرح بالنظـر إلى الواقـع السـياسي والاجتماعـي والتركيبـة العشـائرية لهـذا المجتمـع، لكـن في الواقـع هنـاك خلفيـة أعمـق مـن منطـق السـلب والنهـب والربـح السريـع، هـذا لا يجعلنـا ننفـي البُعـد النفعـي للفواعـل في السـواحل الصوماليـة، التـي تسـعى لتنشـيط القرصنـة وتغذيتهـا، ولكنـه ليـس المنظـور الوحيـد، فهـذا التهديـد مـن جانـب آخـر هـو إفـراز للتطـور الاقتصـادي السريـع ومسـار العولمـة

إنَّ القرصنـة وفقًـا للبعـض هـي ردٌّ فعـل على الصيـد غير الشرعـي، ورمـي المـواد السـامة والنفايـات في السـواحل الصوماليـة، فبعـد انهيـار الحكومـة في مقديشـو مـع بدايـة التسـعينات لجـأت بعـض قـوارب الصيـد لاسـتغلال الميـاه الصوماليـة، التـي تُعَـدُّ مصـدر الـرزق الوحيـد لسـكان السـواحل، وأحـد القطاعـات المعيشـية المهمـة في اقتصـاد منهـار، وكاسـتجابة لذلـك قامـت بعـض الجماعـات الصـغيرة الصوماليـة بتسـليح أنفسـها دفاعًـا عـن مصـدر الـرزق الوحيـد لهـا، وفي هـذا أشـار جـون هـار أحـد المحوريـن في London In-dependent هـل كنَّـا نتوقـع مـن الصوماليين أن يتضـوروا جوعًـا، ويقفـوا بـدون ردة فعـل على شـواطئهم، ويجذفـون في موادنـا السـامة، ويشـاهدوننا نختطـف أسماكهـم لنأكلهـا في مطاعـم لنـدن وباريـس وروما؟(16)

وفي التقريـر المصـور الـذي قدَّمـه محمـد داود تحـت عنـوان (Environnemental jus-tice for Somalia)، أشـار أحـد الصومالـيين، منـذ سـنة 1991م بدأنـا نشـاهد سـفن صيـد ضخمـة تصطـاد على السـواحل، العديـد منهـا، لأنَّـه لا توجـد حكومـة، ثـم إنَّ النـاس يموتـون منـذ 35 سـنة جـراء المـواد السـامة لكـن المجتمـع الـدولي لم يبـد أي اسـتجابة(17)، وفي الحـوار الـذي أُعـد مـع محمـد أبـاشي ولـدو أكَّـد أنَّ كلَّ السـفن الإيطاليـة، واليونانيـة، والإسـبانية، والفرنسـية، والروسـية، والسعودية، متورطـةٌ بالصيـد غير الشرعـي

وقـد تـمَّ رفـع العديـد مـن الدعـوات للمجتمـع الـدولي سـواء منظمـة الأمـم المتحـدة أو مؤسسـات الاتحـاد الأوروبي، ولكـن لم تسـجل أي اسـتجابة ميدانيـة، هـذا بغـض النظـر عـن رمـي النفايـات والمـواد السـامة التـي أكَّـد عليهـا لوسـيانو سـكاليتاري الصحفي الإيطـالي، أحـد المشـاركين ببعثـة لتـقصي الواقـع الصومـالي(18)، ووفـق التقريـر المصـور لبـوب أوينـغ في 14 أكتوبـر 2008م أشـار جانونـا علي جامـا المتحـدث باسـم القراصنـة أنَّ الفديـة المطلوبـة مـا هـي إلَّا تعويـض عـن النفايـات المرميـة على طـول الشـواطئ طيلـة 20 سـنة، ومـا زاد الوضـع سـوءًا هـو انجـراف العشرات مـن براميـل المـواد السـامة للسـواحل جـراء حادثـة تسـونامي، وهـذا مـا أكَّـده برنامـج البيئـة الأممـي، حيـث تعرضـت العديـد مـن المعـدات والبواخـر للتخريـب، مما هـدَّد مـا يقـارب 16000 عائلـة(19)، إذ صرح نيـك نوثال المتحـدث باسـم البرنامـج، أنَّ الأمـواج قـد أدَّت لـكسر حاويـات أسـهمت بتلـوث قـد يـدوم لأكثر مـن عشريـة كاملـة، ومـن دون شـك أنَّ الأكثر خطـورة هـي النفايـات النوويـة، إلى جانـب مزاعـم حـول عقـد اتفـاق لتفريـغ النفايـات السـامة في 1992م بين شركات النقـل الإيطاليـة والسـويدية Achair partners and

progress ونور علمي عصمان، موظف سابق في حكومة علي مهدي محمد وأحد قادة الميليشيات المساهمة بإسقاط نظام سيد بري، وهذا ما ينافي القوانين الدولية، ولكن كلا الشركتين نفتا هذه الادعاءات

إنَّ ما ذكر سابقًا يُعَدُّ من الأسباب المحركة للقرصنة، ولكن هذا لا ينفي وجود عوامل أخرى ساعدت بتناميها، كالأبعاد السوسيوثقافية وغياب حُرَّاس السواحل في مقديشو، وتورّط القوات الإثيوبية القادمة إلى الصومال بالصيد غير الشرعي، فضلًا عن غياب قاعدة الجزاء، وبتعبير ناد دون أحد المختصّين الأفارقة الناشطين بـ Congres-sional Research Services، بعد عقود من غياب الدولة، نشأ الشباب في ظل العنف والفقر، إنهم يتعلمون كيف يطلقون النيران، يعرفون العنف ولكن لا يعرفون كيف يحصلون على عمل(20)

القرصنة الصومالية تهديد للأمن الداخلي والدولي

إنَّ القرصنة الصومالية تطرح تهديدًا على ثلاثة مستويات

المستوى الداخلي: بالرغم من أنَّها تستهدف البواخر الأجنبية إلَّا أنَّها تمثل تهديدًا وطنيًا، فهي بمثابة عامل إضافي لتعزيز حالة الاستقرار داخل الإقليم الصومالي وتدمير قدرات الحكومة الانتقالية الفدرالية، إذ تخلق لنا حلقة عنف مستمرة ذاتيًا، فالدولة الفاشلة توفر الظروف الملائمة لتنامي شبكات القرصنة المنظمة والقوية، التي بالمقابل تغذي منطق العنف الحكومي وتآكل العقد الاجتماعي وانحلاله، وخاصة أن هذه النشاطات غير الشرعية قد استقطبت منذ أواخر التسعينات وبشكل دراماتيكي جماعات التمرد والميليشيات المسلحة، ومن المحتمل اتحاد المحاكم الإسلامية الذي يسيطر على جزء كبير من الجنوب الصومالي منذ 2006م، إذ أثارت التقارير احتمال وجود علاقات تبادلية تتضمن التدريب، وتقديم التكنولوجيا، وتوفير المنازل والمناطق الآمنة، وتوفير الأسلحة وخاصة القادمة من إريتريا، ولكن هذه تبقى معلومات نسبية لأن المناطق الجنوبية التي تطبق الشريعة الإسلامية تُعَدُّ القرصنة غير شرعية

المستوى الإقليمي: إنَّ ضعف الحكومة الصومالية والقرصنة بخليج عدن تمثل عامل إخلال ولا استقرار بحكومات القرن الأفريقي، فهي توفر طريق مناسبًا للتجارة غير الشرعية للأسلحة وتؤثر على العلاقات الاقتصادية الحيوية بوصف الخليج من أهم الممرات العالمية للسفن، وهذا ما يمسُّ مباشرة مداخيل الدول المجاورة. إذ أحد المظاهر الحديثة بالمنطقة هو انتشار شبكات التهريب على طول الموانئ البحرية، وشركات النقل البرية والقنوات الاتصالية على طول الحدود المسامية للدول المجاورة ولاسيما في ظل غياب حكومة وظيفية، إذ غالبًا ما كان يتمُّ تهريب الأسلحة من الصومال إلى كينيا أو إلى جبهة التحرير الوطنية للأوغادين في أثيوبيا، وهذه الحركية هي أحد الأسباب الرئيسة لاستمرار الحروب في المنطقة، من جهة أخرى يمثل البُعد الاقتصادي قضية أمنية حيوية بالنسبة لدول الإقليم، إذ في 2009م كانت حوالي 50 سفينة تنقل البضائع

تعبر يوميًا خليج عدن، ممر مائي استراتيجي يربط المحيط الهندي بالبحر الأحمر وقناة السويس والبحر المتوسط، وبالنصف الأول لـ 2008م فقط عبرت حوالي 21080 سفينة خليج عدن، وهذا ما يمثل واحد من العشرة من التجارة العالمية البحرية، وتُعَدُّ استضافة مصر للاجتماع الذي ضمَّ 7 دول عربية منها السعودية بعد اختطاف الحاملة السعودية للتحسيس بخطورة الوضع على القلق الإقليمي(21)، إذ تراجعت العائدات المصرية بـ 20%، وهناك العديد من السفن وشركات النقل التي غيَّرت من مسارها منها: Odfjell Shipping Group و Front Line، علمًا أنَّ العبور عبر رأس الرجاء الصالح من السعودية إلى الولايات المتحدة مثلًا قد يضيف 2700 ميل(22)

إلى جانب البعدين السابقين احتل الانشغال الأمني البيئي أهمية في الأجندة الأمنية الإقليمية، ولاسيما مع تطور الأسلحة المستخدمة من طرف القراصنة والاستهداف المكثف للحاملات النفطية، لأنَّ التسرُّب النفطي الذي قد يحصل جراء الهجوم من شأنه أن يقتل الحيوانات أو النباتات المائية، وحتى الحيوانات التي تعيش على طول السواحل، بل الأكثر من ذلك إنَّها تهدد الحياة البشرية في بعض المناطق الصومالية واليمنية

المستوى الدولي: حوالي 12% من النفط العالمي يعبر خليج عدن سنويًا وفق تقديرات 2009م، 20,000 سفينة تعبر هذا الممر الاستراتيجي(23)، و28% من الإنتاج النفطي العالمي(24)، وبهذا فإنَّ القرصنة تتحول إلى عائق يهدد التجارة النفطية الدولية، وهذا من شأنه أن يرفع أسعار السلع بالأسواق الدولية، ولاسيما النفط الذي يُعَدُّ مصدر حيوي للاقتصاد وحتى السلطة في بعض الدول كدول الخليج والولايات المتحدة الأمريكية التي تستهلك لوحدها 25% من الإنتاج الشامل للنفط، والذي يوفر أكثر من 90% من الوقود المستخدم بقطاع المواصلات الأمريكي. وبالتالي فإنَّ ارتفاع أسعار النفط من شأنه أن يفرز ارتفاعًا بأسعار جميع الصناعات الأمريكية، وفي الأشهر الثلاثة الأخيرة من 2009م قد جعلت القرصنة من أقساط التأمين بخليج عدن تتضاعف بـ 10 أضعاف، وهي ما تعرف بتأمينات خطر الحرب، وسجلنا هذا التحول بـ 2008م حيث انتقلت من 500$ للرحلة إلى 20,000$ بأفريل 2009م

حتى في حالة تجنب الخليج للعبور عبر رأس الرجاء الصالح سوف نسجل خسائر بالاقتصاد العالمي، فبإضافة 12 حتى 15 يومًا لحاملات النفط قد ترتفع التكاليف من 20,000$ إلى 30,000$ لليوم، وهذا من أحد الأسباب التي أسهمت بأمننة مأزق القرصنة الصومالية(25)، وبهذا الصدد أشار سكرتير الخارجية البريطاني ديفيد ميلي بوند، إلى أنَّه من الضروري أن يبدأ المجتمع الدولي بتأسيس نظام دولي في البحر الذي يُعَدُّ حيويًا للتجارة، وبعد اختطاف حاملة النفط السعودية صرَّح وزير الخارجية السعودي فيصل آل سعود بضرورة الانضمام إلى المبادرات المناهضة للقرصنة واستئصال هذا المرض من المنطقة

كما أعربت الولايات المتحدة الأمريكية عن قلقها حول الطرق التجارية على لسان كوندوليزا رايس بقولها: إنَّه من الجدي ولقضية مهمة الحفاظ على حرية الملاحة عبر البحار، أمَّا منظمة الأمم المتحدة لطالما حاولت موازنة هذا التهديد للمصالح الاستراتيجية بالمخاوف الإنسانية، فحوالي نصف المواد الغذائية المتوجهة نحو الصومال تنتقل عبر البحر، وأكثر من 600,000 صومالي كانوا يعانون نقص التغذية الحاد في جنوب الصومال لعدم وصول المساعدات الإنسانية، وتعليق برنامج الغذاء العالمي بشكل مؤقت 2007م أي قبل الاستجابة الدولية دون أن ننسى أن 2,4 مليون صومالي تابعون للمساعدات الإنسانية القادمة عبر خليج عدن(26)

أمَّا النقطة الثالثة التي طرحت بشكل حاد على المستوى الدولي، هي إمكانية تحوّل الأراضي الصومالية لبيئة آمنة للإرهاب ولتنظيم هجوماتهم، إذ منذ أحداث 11 سبتمبر 2001م تحصلت الصومال على اهتمام دولي وأمريكي، ووفقًا لتصريح ماك كورماك المتحدث باسم إدارة البيت الأبيض، يعتقد أن الصومال تأوي قاعدة خلفية للخلايا التي هاجمت السفارتين الأمريكيتين وفجرتهما في كل من نيروبي ودار السلام 1998م، فضلًا عن الهجوم على الفندق الإسرائيلي بالقرب من مومباسا، والمحاولة الفاشلة لإسقاط الطائرة الإسرائيلية 2002م، وربما التهديد الخطير هو النمو المحتمل لعلاقات تعاونية بين ما يشار لها بالجماعات الإرهابية والقراصنة الصوماليين، إذ شهدنا سابقًا تورطًا دراماتيكيًا لعناصر القاعدة في مشاريع القرصنة بجنوب _ شرق آسيا

الاستجابة الدولية: تتباين خلفيات التدخل الدولي في خليج عدن، ولكن من دون شك تأتي المصالح الاستراتيجية بالمقام الأول وخاصة بالنسبة لدولة كالولايات المتحدة الأمريكية الحاضرة بالمنطقة عبر ثلاث قواعد رئيسة: البحرين، وديبغو غارسيا، وجيبوتي، فهذه المنطقة الواقعة ضمن نطاق القيادة الإقليمية المركزية التي تغطي جميع عمليات الشرق الأوسط وآسيا الوسطى قد أصبحت ذات أهمية بالغة في قلب الاستراتيجية الشاملة للبيت الأبيض، وهذا ما يبرر لنا التحرك الدولي بعد 2008م، لكن هذا لا ينفي وجود استجابة دولية قبل 2008م أشهرها قيام السفينتان الأمريكيتان (USS Arleighbarke) وUSS (Al Porter)) بمساعدة (Nori MV Golden) اليابانية التي تمَّ احتجازها في 28 أكتوبر 2007م(27)، ولكنها ليست السبب الوحيد لفواعل دولية أخرى مثل الصين، وروسيا، والهند، واليابان

إنَّ نشر السفن الصينية في خليج عدن قد فاجأ العديد من الملاحظين الدوليين للوهلة الأولى، ولغاية يومنا هذا مازالت التساؤلات قائمة حول قدرات الصينيين على الإبحار بعيدًا عن سواحلهم، بالرغم من أنَّ الفرع البحري للجيش الشعبي قد تبنَّى بُعدًا إقليميًا منذ سنوات، وبهذا فإنَّ التنامي المتزايد للقدرات البحرية الصينية، وإرادة بيكين للبروز بوصفها قوةً في المقام الأول، هي عناصر تبرر لنا نشر سفنها إلى جانب السعي لأمننة مصادر التمويل الأفريقية، وهي بهذا تعلن عن نفسها بوصفها قوةً

سلميةً ومتعاونةً، فضلًا عن ذلك فإنَّ الصين تحاول شرعنة التوسع الهائل على مستوى الأسطول البحري والقدرات العسكرية الصينية، فالانتقال من أسطول له طموحات إقليمية إلى أسطول حربي يبقى مرهونًا بظروف مالية، زمانية، إنسانية. أمَّا بالنسبة للهند فالأمر مختلف، فطالما كانت هذه الأخيرة مهتمة بالمياه المحيطة بشبه القارة فضلًا عن المنافسة الاستراتيجية الصينية الهندية دون أن ننسى أنَّها حليف الولايات المتحدة بالقارة، وقد قامت بتطوير العديد من الشراكات منذ 2004م

من جهته قرر مجلس أمن الحكومة اليابانية في مارس 2009م، نشر سفن في المحيط الهندي لمكافحة القرصنة، فهي بالدرجة الأولى تسعى لحماية أحد المعابر الحيوية للتأمين المهمة لأمنها الوطني، وهناك من يضيف أنَّها رد سياسي على الانتشار الصيني، ولكن لابُدُّ أن نستذكر أنَّ قوات الدفاع الذاتي اليابانية ترى أنَّ عملها مقيد بإطار دستوري صارم، فالمهام الحديثة والبعثات المؤخرة للتموين لقوة المهمة الدولية (Task Force International)، التي كانت ضمن عملية الحرية الدائمة (Enduring Freedom)، قد أثارت جدلًا واسعًا، واستحالة تمديد هذه البعثة من طرف الحزب الليبيرالي الديمقراطي عبر تجديد قانون مكافحة الإرهاب يُعَدُّ عاملًا محركًا لانهيار حكومة آب شينزو، في هذا الإطار فإنَّ مكافحة القرصنة تسمح للقيادة السياسية بمتابعة مسار تطبيع الدفاع الياباني، دون أن ننسى الخبرة اليابانية القديمة في هذا المجال التي تجد أصولها بالحرب العالمية الثانية. أمَّا التحرك الروسي فهو محاولة لإثبات الإرادة السياسية والحضور القوى بالساحة الدولية وخاصة بعد التدخل بالنزاع الطاقوي في أوكرانيا، وتوترات القوقاز(28)

بعيدًا عن خلفية التدخل سوف تستعرض الدراسة نمطين للاستجابة الدولية في خليج عدن

الأمم المتحدة: في 22 أفريل 2008م دعت كل من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لدعم قرار أممي يعزز محاربة القرصنة، ومنذ ذلك الوقت تصاعدت المبادرات الأممية المجسدة مبدئيًا في قرارات مجلس الأمن الداعية للتحرّك الدولي ضد هذه القرصنة من طرف الدول الأعضاء والمنظمات الإقليمية كالاتحاد الأفريقي(29)، فمنذ 2008م كان هناك حوالي العشرات من القرارات ذات الصلة بالوضع الصومالي، وكان التركيز الأساسي على حماية الإغاثة الإنسانية المقدمة من طرف برنامج الغذاء العالمي، في جوان 2008م أصدر مجلس الأمن القرار 1816 الذي أتاح للدول الأعضاء الأجنبية قيادة عمليات بحرية أمنية في المياه الإقليمية الصومالية بعد موافقة الحكومة الانتقالية الفيدرالية، وتأكد هذا المطلب مع القرار 1838 في 7 أكتوبر 2008م، ثم بعدها القرار 1846 في 2 ديسمبر 2008م الذي نصَّ على توفير المساعدة الأمنية للحكومة لتشكيل وتسليح قوات السواحل، ثم القرار 1851 في ديسمبر 2008م الذي يُعَدُّ نقطة انعطاف فعلية؛ لأنَّه رخَّص توسيع العمليات لمناهضة القرصنة التي تمتدُّ حتى الإقليم الصومالي(30)

الاتحاد الأوروبي: لقد كان هناك اتفاق

عـام بين أعضـاء الاتحـاد الأوروبي على ضرورة التعامـل مـع القرصنـة في القـرن الأفريقـي واسـتجابة لتدهـور الوضـع الأمنـي طالـب مجلـس الاتحـاد الأوروبي في جـوان 2008م، مجلـس السـكرتارية العامـة والمفوضيـة الأوروبيـة بدراسـة الخيـارات الممكنـة لتطبيـق القـرار الأممـي 1816، لكـن هـذا لا ينفـي وجـود خلاف في الـرؤى، فالشـق الأول مـن الـدول الأعضـاء بقيـادة فرنسـية يرغـب في عمليـة بحرية يقودهـا الاتحاد الأوروبي والشـق الثاني بقيـادة بريطانيـا يطالـب بمهمـة تنسـيق فقـط، بحيـث تبقـى الأصـول العسـكرية تحـت قيـادة وطنيـة، لقـد كان نيكـولا سـاركوزي مـن أحـد المؤيديـن لاتخـاذ القـرار 1816 وللعمليـة البحريـة تحـت القيـادة الأوروبيـة؛ لأنَّ هـذا مـن شـأنه تعزيـز السياسـة الدفاعيـة والأمنيـة الأوروبيـة، وتتضمـن العمليـة نشر قـوى بحرية وجويـة على السـواحل الصوماليـة، وهـذا مـا قـد يضاعـف الخبرة في عمليـات إدارة الأزمات

لقـي هـذا الطـرح تأييـدًا ملحوظًـا مـن طـرف اليونـان وإسـبانيا اللـتين تواجهـان ضغطًـا داخليًـا لحمايـة المصالـح الملاحيـة بالمنطقـة، إن هـذه العمليـة بالواقـع تمثـل صفقـة أو مسـاومة تجاريـة لعـرض قـدرة التحـرّك الأوروبيـة، وفي المقابـل رأت القيـادة البريطانيـة تشـكيل مهمـة تنسـيق تتألـف مـن موظـفين مـوزعين بين بروكسـل ومنطقـة الأزمـة، فقـد أرادت هـذه الأخيرة تجنـب دور المتحـدي للناتـو بوصفهـا المنظمـة الأطلسـية الأوروبيـة الوحيـدة القـادرة على العمليـات البحريـة، كما تعتقـد هولنـدا أنَّ الناتـو سـوف يكـون أكثر فعَّاليـة في مثـل هـذه الأزمـات، وهـذا في الوقـت نفسـه الـذي جهّـز فيـه الناتـو لـنشر سـفن حربيـة على طـول القـرن تحـت الطلـب الأممـي بإطـار عمليـة الممـون المتحالـف (Allied Provider) الهادفـة لتـوفير حمايـة مغلقـة وحراسـة الطـرق البحريـة على طـول السـاحل الصومـالي(31)

على عكـس الـدول المذكـورة سـابقًا فـإنَّ ألمانيـا لم تلـزم نفسـها بـأي خيـار بالمرحلـة الأولى، فالبحريـة الألمانيـة كانـت مسـتعدة قبلًا للمشـاركة في عمليـة مكافحـة الإرهـاب تحـت القيـادة الأمريكيـة الحربيـة الحاضرة بالمنطقـة منـذ 7 أكتوبـر 2002م، بالإضافـة لعمليـة Active Endeavour in the Mediteranean Sea، وقـد انتقـد الـرأي العـام الـداخلي والخارجـي هـاتين العمليـتين بوصفـهما وسـائل لخدمـة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة أكثر منهـا وسـائل لتفعيـل المصالـح الأمنيـة الأوروبيـة، وبهـذا ارتفعـت المخـاوف في أوسـاط صناعـة القـرار في بـرلين حـول إمكانيـة تحـول عمليـة أخـرى يقودهـا الناتـو إلى نقاشـات داخليـة خلافيـة، فضلًا عـن ذلـك فـإنَّ الحكومـة الألمانيـة كانـت تواجـه مـآزق قانونيـة تحتـاج لـردود فعـل نشـيطة وسريعـة قبـل التخطيـط لعمليـة مكافحـة القرصنـة تحـت قيـادة الناتـو أو تحـت قيـادة أوروبيـة، ولكـن في نهايـة المطـاف وافقـت على الطـرح الفـرنسي الـذي أسـهم بـدوره في تعديـل الموقـف البريطـاني(32)

وفي 15 سـبتمبر 2008م وافـق المجلـس الأوروبي في اجتماعـه على مكافحـة القرصنـة بالسـواحل الصوماليـة، وقـرَّر تشـكيل خليـة تنسـيق بحريـة أوروبيـة في بروكسـل بهـدف تعزيـز نشـاطات الرقابـة والحمايـة التـي يقـوم

بها بعض أعضاء الاتحاد في الساحل الصومال، كما وافق على المضي قدمًا في التخطيط للعمل على عملية بحرية، وتأسيس اتصالات مع الأمم المتحدة وبرنامج الغذاء العالمي والوكالات الإنسانية والمنظمات الملاحية بهدف تسهيل الدعم التنسيقي، بالإضافة للفواعل العسكرية الحاضرة بالمنطقة مثل: قوة المهمة المشتركة 150 (Combined Task force) وقوة المهمة المشتركة 151. وبهذا استأنف العمل تحت قيادة الكابتن البحري الإسباني كلوس أندري دبريغو قبل نهاية سبتمبر 2008م(33)، إذ من أهم الأهداف المعلنة لهذه العملية هو إنشاء بيئة آمنة وسليمة للتخفيف من الفقر عبر توفير المساعدة الإنسانية ومضاعفة النشاط الاقتصادي، وفي هذا الإطار دعم الاتحاد الأوروبي مسار السلام والتوفيق في جيبوتي، ومهمة الاتحاد الأفريقي في الصومال، فضلًا عن إصدار المفوضية الأوروبية قرار بتأسيس قاعدة للقدرات العملياتية للأجهزة الدولاتية الانتقالية في الصومال، وتقديم مساعدات إعادة البناء وتضم العملية حوالي سبعة دول لها إسهامات إجرائية دائمة: هولندا، وإسبانيا، وإيطاليا، وألمانيا، وفرنسا، واليونان، والسويد، وبلجيكا، ولوكسمبورغ، والتمويل مشترك فيما بينها، ويكون حسب الناتج المحلي الإجمالي لكل دولة، وقد ارتفع هذا الأخير من 84 أورو بسنة 2010م إلى 85 عام 2011م(34)

في 8 ديسمبر 2009م قام مجلس الاتحاد الأوربي بتمديد عهدة العملية العسكرية الأوربية التي تسهم بردع القرصنة في السواحل الصومالية لغاية 8 _ 12 _ 2011م ثم إلى ديسمبر 2012م(35)

شكل رقم(2): المساعدات الأوروبية للصومال في إطار المقاربة الأمنية الشاملة (مليون أورو)

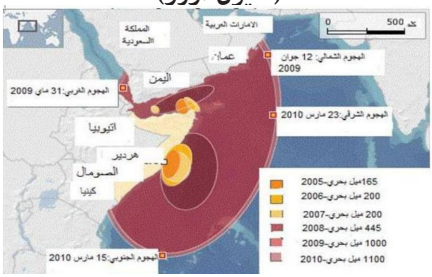

Source: Opération maritime de lutte contre la piraterie (EUNAVFOR Somalie-opération ATALANTA), 26 oct 2011, p 5 www.consiluim.europ.eu/psdc

ولكن مع هذا فنجاح العملية يبقى نسبيًا، لأنَّه لا يمكن عزل القرصنة في ظل غياب قاعدة الجزاء وقوانين فعَّالة وقوات حماية السواحل، وإذا كان المأزق الأول قد حُلَّ في نوفمبر 2008م من خلال اتفاق مع الحكومة الانتقالية للسماح للقوى البحرية تحت القيادة الأوروبية بدخول المياه الإقليمية الصومالية واحتجاز المشتبهين بهم، فإن المأزق الثاني، كان يطرح صعوبات لأنَّ الدول الأوروبية ليست لديها قوانين داخلية تخصُّ القرصنة، ولكن هذا لا يمنع الدول الأعضاء من عقد اتفاقيات مع الدول المجاورة مثل كينيا بوصفها الأقرب للصومال التي تتوافر على القاعدة التشريعية والقدرة المطلوبة لملاحقة القراصنة والمشتبه بهم

قضائيًا، وكان هذا على إثر الاجتماع الأممي في نيروبي 2008م لإعادة النظر بالمقاربة السياسية والقانونية الجديدة لمكافحة القرصنة، وهناك اتفاقيات مماثلة في طور المفاوضات مع كلٍّ من الموزمبيق، وجنوب أفريقيا، وأوغندا، وتنزانيا

الخاتمة

إنَّ القرصنة الصومالية ظاهرة مركبة متعددة الأبعاد والفواعل والمستويات ومن الصعب فهمها بعيدًا عن تحليل العلاقات الوظيفية بين الأحداث السوسيولوجية وانعكاسها على البيئة النفسية للقطاعات الشعبية، أو بعيدًا عن اختلال التوازنات الاقتصادية الكلية والجزئية بعد انهيار نظام سياد بري، وتأثيرها على إعادة هيكلة العلاقات الشعبية العمودية ذات الطابع العشائري أو الطابع السياسي، مما عمَّق من منطق الشخصنة داخل جميع أنماط العلاقات التبادلية داخل المجتمع، أو بعيدًا عن المصالح الاستراتيجية الدولية بالمنطقة، وتورّط الفواعل الأجنبية، وتأثير التحولات النظمية على المستوى الدولي على الدولة الصومالية، وهذا ما يستلزم مقاربة شاملة تجمع بين الملاحة القانونية وإعادة البناء للهياكل السياسية الداخلية وحتى التدخل العسكري إن تطلب الوضع، ولو أنَّه يبقى مستبعدا ليومنا هذا

(1) Todd A. Ward, Piracy in Somalia: interbihavioral assessment and intervention, Behavior and social issues, N°. 18, p136.

(2) Eric Padro, Piracy off Somalia and its challenges to maritime security: problems and solutions, UNISCI discussion paper, N° 19, January 2009, p 252, available at: http://revistas.ucm.es/index.php/UNIS/article/viewFile/UNIS0909130250A/27543.

(3) Roger Middleton, Piracy in Somalia: Threatening global trade, feeding local wars, Breifing paper, Chathan house: Independent Thinking on International Affairs, October 2008, p3.

(4) Kurt Bodewing, le rôle de l'union européenne dans la lutte contre la piraterie, rapport de l'assemblée européenne de sécurité et de défense, Assemblée de l'Union de l'Europe Occidentale, document A 2037, 4 Juin 2009, p 4, available at: www.assembly-weu.org.

(5) Todd, A. ward, op.cit, p137.

(6) Richard Weitz, Countering the Somali pirates: harmonizing the international response, Journal of Strategic Security, Vol.2, N°03, p2.

(7) Raymond Gilpin, Counting the

(16) Johann Hari, You are being lied to about pirates, The independent 5 January 2009, available at: http://www.independent.co.uk.

(17) Mohamed Daud, Environmental justice for Somalia, video report, Epic Shots Studies, available at: www.youtube.com/watch?v=riczrDIrwko.

(18) Somalia piracy began in response to illegal fishing an toxic dunping by western ships off Somali coast, Video Report, Democracy now, by Goodman Any, 14 Avril 2009, available in: www.democracynow.org.

(19) Kurt Bodewing and al., op.cit, p5.

(20) Jeff Geels, op.cit, p 13; see also: Gary E. Weir, Fish, family and profit: piracy and the horn of Africa. Naval War College Review, Report Type, 2009, p 18, available at: http://www.usnwc.edu.

(21) Bilyana Tsvetkova, op.cit, p50.

(22) Anna Bowden, The economic costs of maritime piracy. Working Paper, One Earth Future Foundation, December 2010, p 12, available at:

http://oneearthfuture.org/images/imagefiles/Cost%20of%20Piracy%20Final%20Rep ort.pdf.

(23) Todd A Ward, op.cit, 136.

(24) Andrea Bonzanni, Piracy in Somalia: costs of Somali piracy, Report of Center for Sustainable Economies and United States Institute of Peace, 22 Juin 2009, p8.

(8) Bilyana Tsvetkova, Securitizing piracy off the coast of Somalia, Central European Journal of International and Security Studies, Vol.3, Issue 1, p48.

(9) Jeff Geels, Raiding the state: piracy and state-building in Somalia, one semester senior essay, Advisor David Simon, April 27, 2009, p 17, available at: www.yale.edu/polisci-undergrad/docs/geels-jeff.pdf

(10) Raymond Gilpin, op.cit, p8.

(11) Roger Middleton, op.cit, p4.

(12) Jeff Geels, op.cit, pp14-17.

(13) Jeff Geels, op.cit, p11.

(14) Idem, and see also: Benjamin Powell, Rayan Ford, Alex Nawrestech, Somalia after state collapse: chaos or improvment, Journal of Economic Behavior and Organization, N°67, pp658-661.

(15) Dennis, M. Zogg, Why the us navy should not be fighting piracy off Somalia, Report of Naval War College, NA421305, I may 2009, p 5-6, availabale at: http://www.dtic.mil/cgibin/GetTRDoc? AD=ADA503124&Location=U2&doc=GetT RDoc.pdf.

(30) Dennis, M. Zogg, op.cit, p7.

(31) Frank Hagemann, Strategic planning for comprehensive security in the Europeen Union's military operations. Thesis, Naval Postgraduate School, Monterey, California, June 2010, p 59-60, available at:

http://www.dtic.mil/cgibin/GetTRDoc? AD=ADA52653&Location=U2&doc=GetT

RDoc.pdf.

(32) Ibid., p61.

(33) Idem.

(34) Opération navale de lutte contre a piraterie (EUNAVFOR Somalie-opération

ATALANTA, op.cit, p2.

(35) Opération maritime de lutte contre la piraterie (EUNAVFOR Somalie-opération

ATALANTA), 26 oct 2011, p 5, available at:

www.consiluim.europ.eu/psdc.

malia: a global issue in need of a global answer.

Global Affairs, Issue 11, April/May 2009, p8.

(25) Anna Bowden, op.cit, p10-12; see also: King Rowle. Ocean piracy and its impacts an insurance, Report of Congressional Research Service, 3-12-2008, available at:

www.dric.nul/cgi-bin/GettRDOC?ad=ada5100208location=V2do.potP.

(26) Bilyana Tsvetkova, op.cit, p53.

(27) Gary E Weir, op.cit, p22.

(28) Alban Sciascia, La lutte internationale contre la piraterie au large de la Somalic depuis 2008, quels intérêts pour les nations participantes? Echo Geo, N 1, pp2-6.

(29) Opération navale de l'UE contre la piraterie, Avril 2010, Presse-Secrétariat du conseil de l'UE, p 2, available at:

www.consiluim.europ.eu/psdc.

د. عبدالخالق عبدالله

أكاديمي ومفكر سياسي إماراتي، يُعد من أبرز الأصوات البحثية العربية المتخصصة في قضايا الخليج والتحولات الإقليمية. شغل منصب أستاذ العلوم السياسية بجامعة الإمارات، وتخرّج في جامعة جورج تاون الأمريكية، كما نال الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة جورج تاون عام 1987.

يُعرف بقراءاته العميقة للتحولات في العالم العربي والخليج، ومواقفه النقدية المتوازنة من السياسات الإقليمية والدولية. له إسهامات واسعة في تحليل مفاهيم القوة الناعمة والهوية الخليجية، ونُشرت مقالاته وتحليلاته في عدد من الصحف والدوريات العربية والدولية

يجمع في أطروحاته بين الرؤية الأكاديمية والبعد الاستراتيجي، ويُنظر إليه كأحد أبرز المفكرين الذين أسهموا في بلورة الخطاب السياسي الخليجي الحديث القائم على الاعتدال والتحديث والسيادة الوطنية